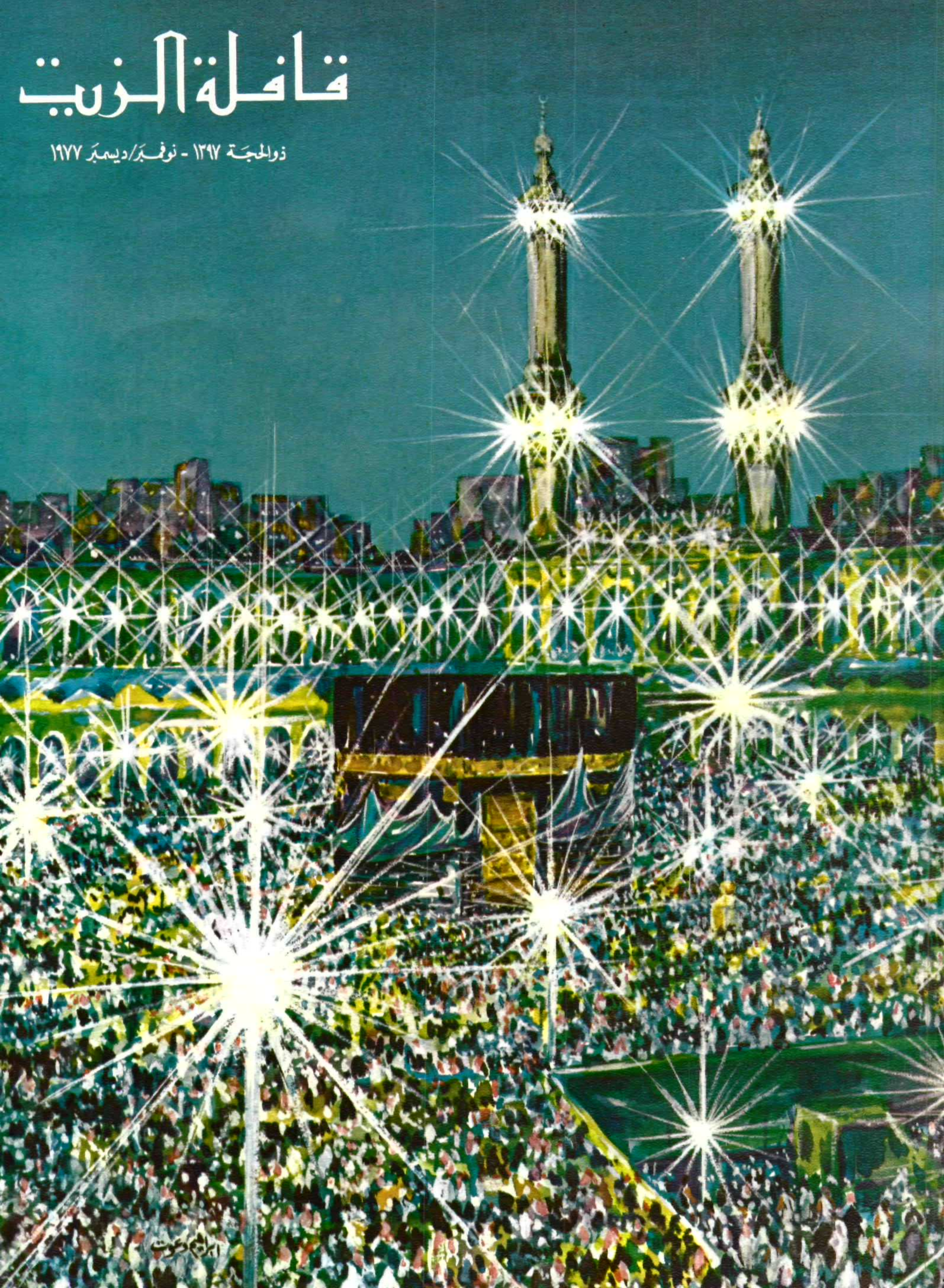

قافلة الزيت
ذو الحجة ١٣٩٧ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر - المجلد الخامس والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام

رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد : عوني أبو كشك

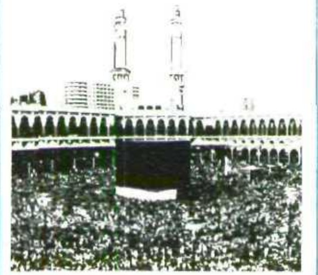
التعليق على صورة الغلاف

لوحة مستوحاة من الحج
للفنان: ابراهيم دعوت

محتويات العدد

٨ ٢٠





٣٨ ٤٠

AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM شركة مطابع المطوع - الدمام

عيد مبارك

أعزائي الموظفين :

إنه لمن دواعي سروري أن أنتهز فرصة حلول عيد الأضحى المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة أرامكو ولأفراد عائلاتهم أجمل التهاني وأخلص التمنيات ، سائلاً المولى القدير أن يعيده عليهم جميعاً بالخير والبركات . وكل عام وأنتم بخير .

فرانك جنقرز

رئيس مجلس الإدارة

كل عام وأنتم بخير

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك الذي يحمل في طياته أسمى المعاني وأعذب الأماني لكافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، يسر هيئة التحرير أن ترفع إلى مقام جلالة الملك المعظم وولي عهده الأمين وإلى المسلمين كافة وإلى القراء الكرام أحر التهاني وأطيب الأماني ضارعة إلى المولى عز وجل أن يعيد أمثاله عليهم بالخير والبركات .

هيئة التحرير

من معاني الحج

الحج في الاسلام وحدة وعبادة ومساواة ، فهو رمز لوحدة المسلمين وتضامنهم ، وتجسيد لتآلفهم وتآخيهم ، وحقيقة محسوسة يستشعر بها المسلمون بملء جوارحهم وهم يؤدون هذه الفريضة ونسكها وشعائرها المقدسة .

ففي هذا الموسم الديني يتوافد المسلمون من كل فج على أول بيت وضع للناس هدى ومباركاً للعالمين ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات .

من هنا اعتبر الاسلام الحج شعار الاسلام وجامع شتات المسلمين فضلا عما فيه من الاتجاه المطلق الى الله تعالى ، ومهبط الوحي الإلهي ، وجهاد الوحدانية لله ضد الوثنية حتى صارت كلمة الله هي العليا . . « **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** » .

ومن معاني الحج السامية انه رمز لمحو الفروق الجنسية والطبقية ، وتأكيد لاثبات الوحدة الانسانية التي لا تميزها طبقة او يفرقها جنس او يباعدها حد أو اقليم . فالمسلمون في اتحاد لباسهم انما يعبرون عن احساسهم جميعاً بأنهم في رحاب الله وفي ظلال روحانيته ونورانيته متزودين بزاد التقوى .

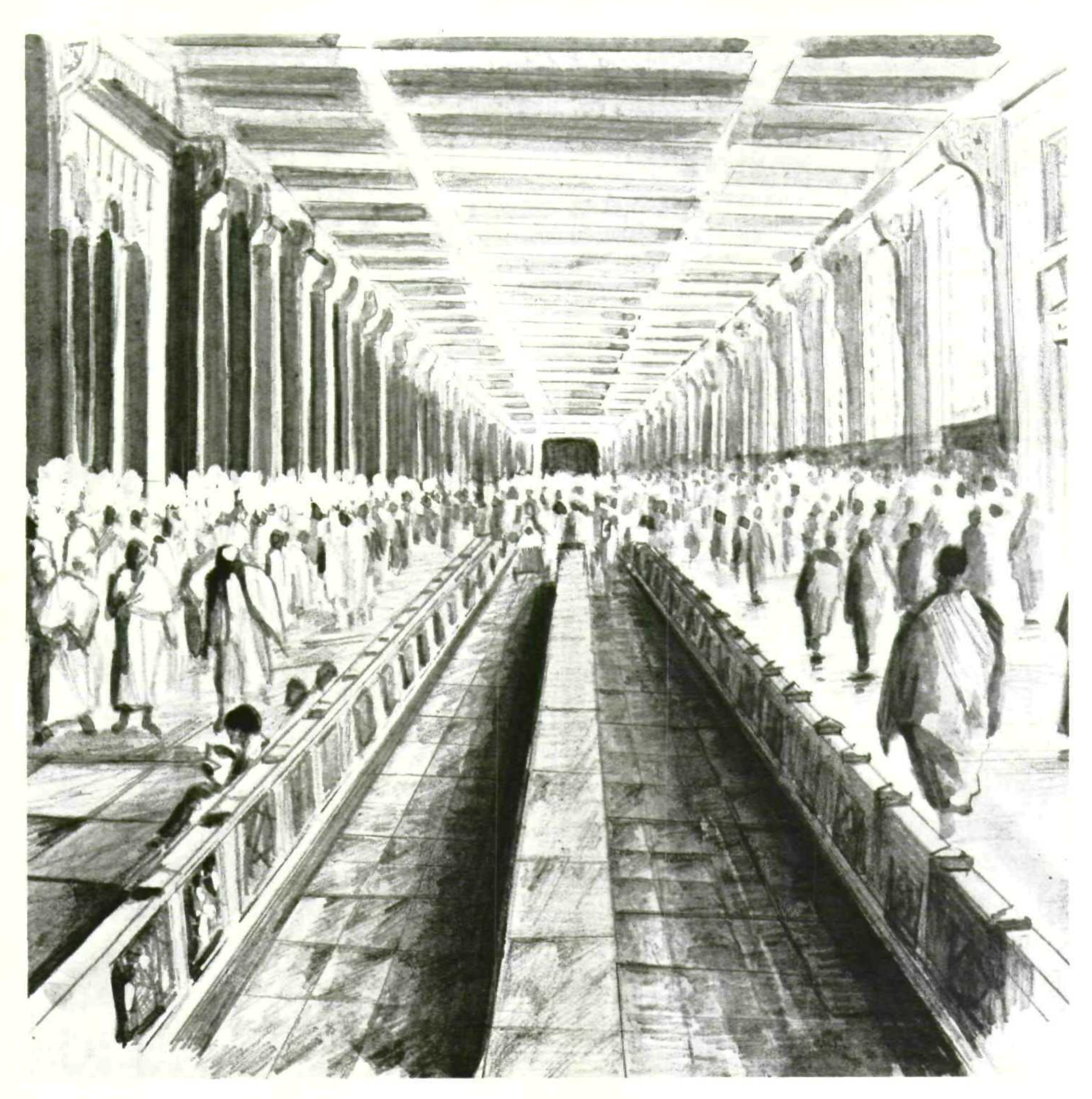
ففي مكة المكرمة ، مهبط الوحي ومبعث النور ، ومبوأ أبي الانبياء ، عليه السلام ، يلتقي المسلمون على اختلاف اجناسهم ولغاتهم في أروع لقاء ، لقاء العبودية لله ، لقاء المساواة . . يلتقون على مائدة روحية من النسك والعبادة والاخلاص لله ، تجمعهم عقيدة واحدة ورسالة واحدة وغاية واحدة وزي واحد ، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، كبيرهم وصغيرهم ، قويهم وضعيفهم ، كلهم سواء في خضوعهم وخشوعهم لخالقهم ، يتجهون اليه شعثا غبرا ، ملبين مخلصين له الدين حنفاء ، لا يفرق بينهم الا التقوى .

والحج على تعدد غاياته ومقاصده ، يظل مؤتمر الاسلام الأكبر . . ففيه يتم اللقاء الروحي على اروع ما يكون اللقاء ، وفيه يتعارف المسلمون ويتواصون بالخير وبالحق ، فتقوى روابطهم وتتوطد أواصرهم . . . تجمعهم وحدة لا تنفصم عراها ولا تهي وشائجها ، معتصمين بحبل الله المتين ومستمسكين بعروة نبيهم الأمين حتى يكونوا دائماً كما اراد الله لهم ان يكونوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ففي رحاب هذه البقعة المباركة التي آثرها الله على غيرها من بقاع الأرض قدسية وطهراً ، والتي منها اشرقت الارض بنور ربها ، يتجلى المعنى السامي المنزل من لدن رب العالمين مخاطباً المسلمين « **وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » .

أجل ، ان المسلمين في هذا اللقاء الديني العظيم انما يعبرون عن اخلاصهم لله ووحدانيته ، وتجردهم لزينة الحياة الدنيا ، وتذكرهم لحال يوم الحشر ، يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، فاذا ما اتموا شعائر هذه الفريضة السامية عادوا الى بلادهم وأهليهم وقد تطهرت قلوبهم من زيف الدنيا واوضارها كطهارة المولود يوم ولادته : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

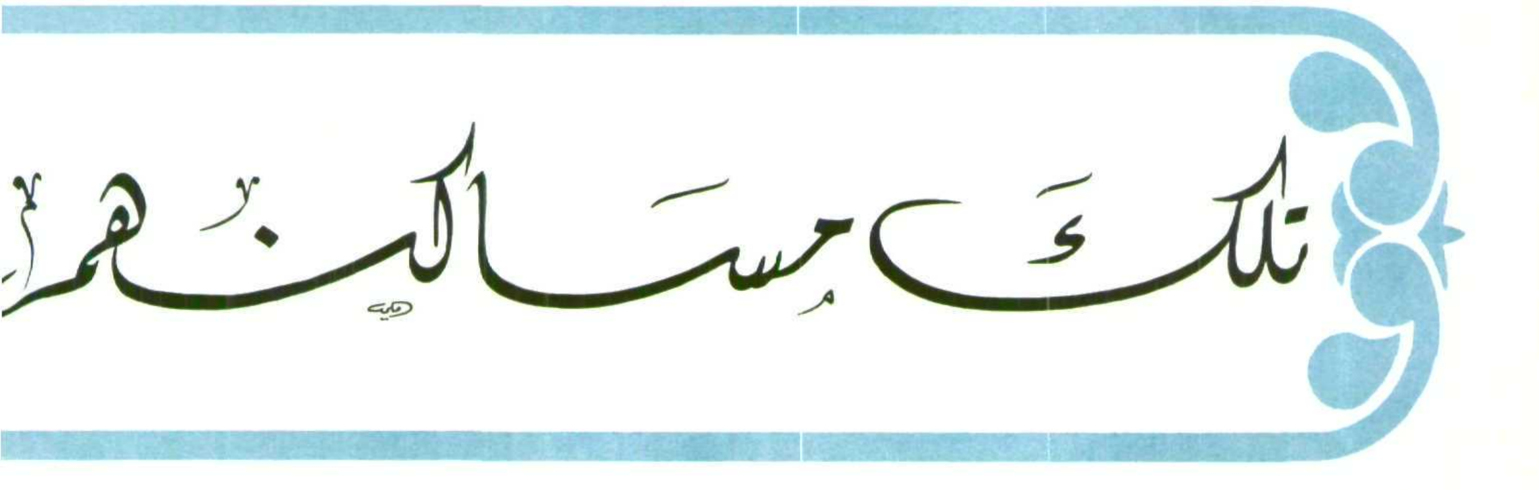




ومن المعاني السامية التي تنطوي عليها فريضة الحج الى جانب احتمال المشاق وتجشم متاعب الحياة واعبائها ، ان فيها مظهراً لانتصار الإيمان على اهواء النفس وشهواتها ، وقد أحاط الله شعائر الحج بسياج يجعل للروح فيها الغلبة لكي يتسنى لضيوف الرحمن تأدية نسكهم والعيش في ظلال الفضيلة والعفاف بعيدين عن كل فسق ودنس وخطيئة . « **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » .

وفي التاسع من ذي الحجة من كل عام ، تزهو الكعبة بثوبها البهي ناطقة بالجلال والوقار حتى اذا ما أشرق العيد وأتم الحجيج نسك الحج وشعائره ، وعادوا إلى بيت الله الحرام ليطوفوا طواف الافاضة ، بدت لهم في حلتها القشيبة وكأنها تشارك عباد الله الصالحين بالعيد السعيد بعد ان شهدوا منافع لهم وذكروا اسم الله في أيام معلومات . « **واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** ●

المحرر المشارك



شغلت البيوتات التي كان يسكنها الشعراء القدامى ، الأدب العربي في عصوره المختلفة ، كما استوقفت الشعراء المحدثين كذلك ، فتدافعوا يستلهمون مغانيها ، ويستنطقون دوارسها ، علهم يلحقون بالركب او يشافهون الذين مضوا وكانت تعجبهم تلك الوقفات ، او تحركهم لواعج الشوق ، أو يؤرقهم ذلك الحنين .

ولقد وضع أولئك الشعراء ذلك الحنين ، موضع الاستلهام ان لم يكن يبعث على الذكرى ، او يحيي الرجاء في بعض القلوب ، فكانت القصائد الطويلة ، وكانت الأبيات العامرة ، وكان التنافس الذي سجله تاريخ الأدب ، ووعته الصدور بعد الرواية والنقلة من عصر الى عصر ، وحي بعد حي ، وبيت بعد بيت . . .

غير ان هذا الحنين الذي تناثر في جُلّ القصيد العربي ، لم يكن بأظهر منه في غير الغزل العفيف وغير العفيف ، مما تداوله الرواة في اعصار الأدب المختلفة ، وبخاصة عصوره الذهبية التي عاشها الأدباء ومشى على جوانبها الحفظة والمسجلون ، حفظاً للتراث ، أو بأمر من لدن حاكم اديب ، أو عالم حريص . . .

كان الاستئثار بمطالع القصيدة ، غرضاً من اغراض الشاعر ، يكاد يتفق عليه رعيلهم ، أو المشار اليهم في جملة الأغراض ، وكان الغزل الذي يحلو للشاعر ان يستذلّه ، يأخذ القصيدة في مضمون غرضها ، ان لم يأت على اغراضها كلها في غالب الأحيان . . فكانت الدار التي يقف اليها الشاعر ، هي تلك الدار التي تسكنها صاحبته ، او يبثها على مبعدة منها اشواقه وحنينه ، او يرسل اشارته اليها من طرف من اطرافها ، او فتحة من فتحاتها الكثيرة التي كانت سبباً في ان الشاعر قد وجد فيها ما ينفذ منه بالقول ، المباح او غير المباح ، وهو ماض في فيافيه ، لا يخشى الوقوف امامه ، أو السدود التي تأخذ المار في العصر الحديث .

على انه ربما خلت تلك البيوتات من ساكنيها او تهدمت لقدم عهدها ، ولكن الشاعر الواله لا يعنيه في المقام الأول غير المحادثة ، وبث لواعج الأشواق ، وان بان له ، ان الدار صموت بوحشتها ، او بكماء لهجرها .

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا
صمّاً خوالد ما يبين كلامها

ومن ذا الذي لا يحار مع النابغة الذبياني ، أو تأخذه الشفقة عليه ، وهو يخاطب « دار ميّة » ما شاء له ان يخاطب ، دون ان يسمع لندائه احد ، او يستجيب لكلامه من عناهم الشاعر بالجواب ، او خصهم بهذا الذي يقوله لهم :

يا دار مية بالعلياء فالسند
أموت وطال عليها سالف الأبد
وقفت بها اصيلا كي أسائلها
عيّت جواباً وما بالربع من احد

والآثار الدوارس التي كان يندبها الشعراء ، ويقفون من حولها باكين ، مثلها مثل الدّار التي خلت من ساكنيها ، او اصابها الجدب ، فلم يعد يزهر بها الحب . كان امير الشعر الجاهلي ، ابرز من ذرف دمعه وأقدر من ذكر الدار والأطلال ، وأقمن من نظر هذه النظرة الوالهة المستعبرة :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وقوفاً بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

ومهما بلغ الشأو بالحضارة ، او سبقت خطوها ، فليس من الحسن ان يقال : انها تغلب البداوة في سبحاتها ، او تتفوق على هذا الطرب الذي نهتز له حين نقرأ معلقة ابن ابي سلمى زهير :

أمن أم اوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم
ديار لها بالرقمتين كأنها
مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم

وما احسبني بحاجة الى تبيان اي شيء لملمه الشاعر في هذه القصيدة ، وهو يجمع صوره المتناثرة ويجعلها تطل هذه الاطلالة الكبرى التي تضيء وجه الطريق بين يدي القارىء .

فالدار الخربة التي تكونها المجموعة ، وتضمها الآثار الباهتة التي تبين في عروق معصم اليد ، وتلك الاطلال الباردة التي لاذت



بقلم: الأستاذ أبو طالب زيان

بظلها العين ، والآرام تتفيأ وهي مطمئنة ساكنة حتى يفاجئها الشاعر فتفر مذعورة ، ويتفرق رعيل منها الى اتجاه ، على حين يخالفه رعيل آخر في اتجاه آخر ، بينما الاطلاء من الصغار تنهض عن مجاثمها وهي بين الالتياع والخوف ، وربما الرجاء . . .

والصور المنسوجة ، واللوعة الباكية التي جرى وراءها جل الشعراء القدامى ، أكبر من ان يتناولها قلم وإن كانت اقرب الى المثول من أي صورة تناولها شعراء في أغراض الشعر المتنوعة ، وإن جنح كل الى طريقة في العرض ونحا مذهباً في المعالجة وترسّم طريقاً في الاتجاه...

اذ ما يقال في دار « عبلة » غير ما يقوله « زهير » او ما يقوله امرؤ القيس ، وان اتفق الغرض واتحد المضمون . . . فعنترة بن شداد ، يقف ازاء دار « عبلة » ليستنطقها بعد ان اثنى على الشعراء الذين سبقوه ، ويحيّ ويسلم ، كأن الرسم أمامه من النواطق ، وإن تقادم عهده ، وتهدم بناؤه وينسى التساؤل الذي فرصه في مطلع المعلقة .

هــل غادر الشعراء مــــن متردم
ام هــل عرفت الــدار بعــد توهّــم

يــا دار عبلــــة بالجــواء تكلمــي
وعمــي صباحاً دار عبلــة واسلمي

حييت مــــن طلل تقــادم عهــده
اقــوى واقفــر بعــد ام الهيــثم

والغزل لم يفارق القصيدة العربية ، او يجلو عنها في العصر الجاهلي ، يجري ليلحق بالقرون الأربعة ، فيجد المنزل والمتسع والرحب والتجلة والاعظام ، ويحله جرير محبة فيه ، ويتعلق به « بشار » ولعاً به ، وحرصاً على الصورة الموشاة والنغمة المساغة في اعراف الذين سبقوه ، وان اختلف الشاعران في النظر الى الأثر ، او وصف الدار . . .

فجرير يقبل ليحيي الرسم الذي درس ، على حين يأتي زعيم المحدثين في عصره فينكر على الطلل عدم اجابته له او كلامه اياه ، بل هو يذهب معه الى أبعد من هذا فيقول :

أبــى طلل بالجــزع ان يتكلمــا
ومــــاذا عليه لــو أجــاب متيما

وبالفرع آثـــــار بقــين وباللــوى
ملاعب لا يعرفـــن إلا تــوهمــا

على حين يقول جرير :

حـــي الغــداة بــدامــة الاطلال
رسما تقادم عهــــده فــأحــالا

وينهج النهج نفسه ابو نواس ، وابو تمام ، ويشق المتنبي طريقه في الضرب على السيرة ، والاعجاب بهذا المفتتح ، والغرام بذات المنهج فيقول :

فديناك مــن ربع وان زدتنا كــربــا
فانك كنت الشرق للشمس والغربــا

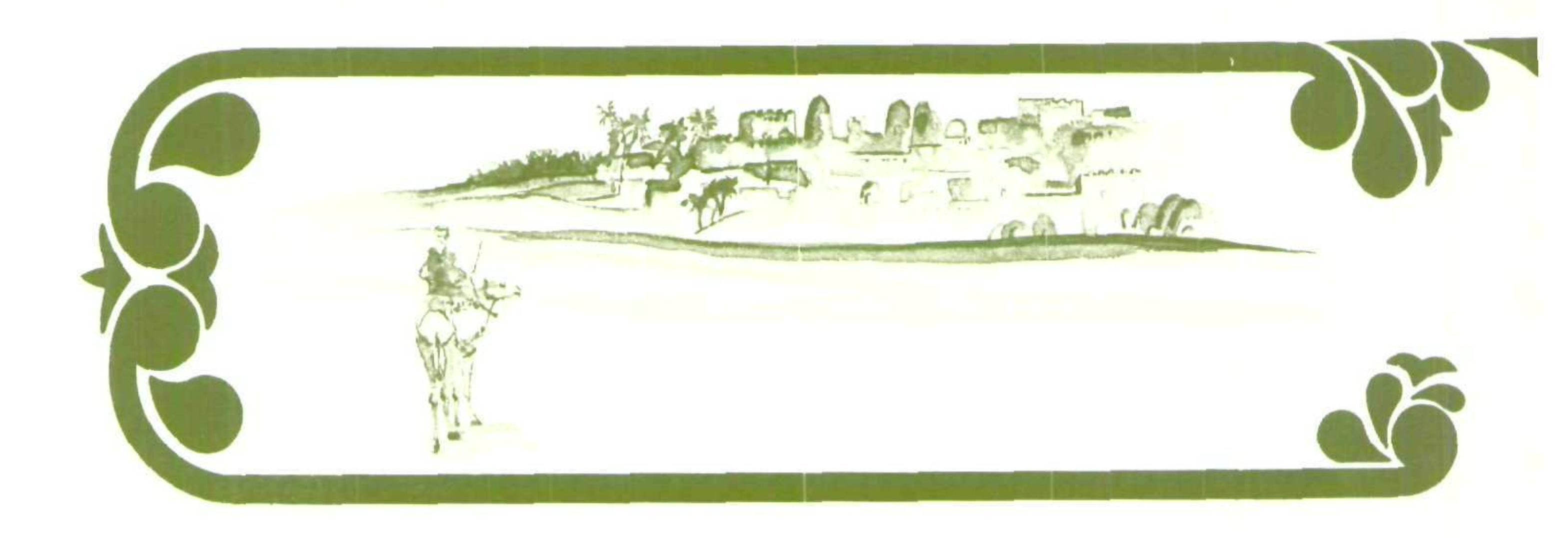
هل بلغ هذا الفتون بالشعراء المتأخرين هذا المبلغ ، حتى حاكوا الشعراء القدامى في الغرض والمرمى والاستهلال ؟ يغلب على ظني : ان القصيدة القديمة بتركيبها المتعارف عليه ، قد فتنت الشعراء المحدثين ، او الذين تلوا العصر الجاهلي بكل مضامين شعره ، فولّوا وجههم شطر النسج ، وابتنوا شعرهم مشدودين نحو المحافظة على القالب والبناء ، مدفوعين الى التقليد الذي ضرب بجرانه على عقولهم ، ولو أدى بهم هذا الذي ولّوا وجههم اليه الى الغرابة والتكلف . . .

غير ان هذه الديار التي كانت مادة خصبة ، أمام أولئك الشعراء ، لم يعد لها من أمر في وضع من اوضاع كثير من الشعراء المتأخرين ، أو الذين استباحوا التقليد البحت ، او هضموا النسج على مغازل المتقدمين . فالديار في مذهبهم لم تعد اطلالا كلها ، والاشارة اليها لم تكن من ضرورات التجويد ، أو النظر المستملح ، او المعترف به على أي نحو من الانحاء . فخاطب الشعراء الدور العامرة ، وكلموا ساكنيها ، واستباحوا حرمات القصيدة العربية المحافظة ، أو هم عملوا على طمس معالم الدور من صدور القصائد الى ابعاضها كنقلة كبيرة يعقبها الترك والإعراض والاهمال . وما في « لامية الاحوص » الا أثر واضح من آثار الترك او الزحزحة ، كان لها ما بعدها في شعر الشعراء المحدثين :

يـــا دار عاتكــة التي اتغـــزل
حــذر العــدا وبك الفؤاد موكل

انـــي لامنحك الصــدود وانـــني
قسما اليك مـــع الصدود لأميـــل

على انه لو جاز الاهمال ، فلن يجوز في باب الاعتقاد بأن للدور مآثر ، بل لها حرمة في القوانين والشرائع حتى ضرب المثل



بإجارة اللائذ ، وحماية الخائف ، واجارة المستجير . فقد قيل ان رجلاً من العرب ، اعطى الأمان حمامة اتخذت عشها في اعلى داره ، واستظلت برعايته ففرض ان يكون للطير وعي حتى يختار هذا الكنف الموطأ ، فقال محييا ، وانشد راعيا ومفتخرا :

تغــــني انت في ذممي وعهـــــدي
وذمـــة والــدي ان لــن تطــاري
وبيتك اصلحيــه ولا تخـــافـــي
على صغـــر مزغبـــة صغـــار
فـانـك كلمـــا غنيت لحنـــاً
ذكرت احبـــتي وذكـــرت داري
وامـــــا يقتلوك طلبـــت ثـــــأراً
لـــه نبـــأ لأنك في ديــاري

ولست بآت جديداً اذا سلمت بأن من الديار ما يضجر ، ومن المساكن ما يضيق به المرء ويزوّر ، ويتمنى ان لونزح الى دار اخرى يستقيم له العيش فيها ، ويصيبه الرخاء . . .

والمشاركة الحديثة هنا ، قد تمتد الى اعصر ضربت في القدم ، حيث يشارك الناس في عصرنا الحديث الشاعر ابن الأعمى وقد سكن داراً ، ولم يلق فيها غير العنت وشظف العيش ، فجرى على لسانه احساسه بضجره وشعوره بضيقه ، فقال فرضاً عليه :

دار سكنت بهـــــا أقـــل صفاتها
ان تكـثر الحشرات فــي جنباتهـــا
الخـــير عنهـــا نازح متبـــاعـــد
والشر دان مـــــن جميع جهاتهـــا
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
اين الصوارم والقنـــا مـــن فتكهـــا
فينـــا وأيـــن الاســـد مـــن وثباتها
وبهـــــا خفافيش تطـــير نهارهـــــا
مع ليلها ليست علـــى عاداتهـــــا
وبهـــــا خنافس كالطنافس افـــرشت
في ارضهـــــا وعلت على جنباتهـــا
وبهـــــا زنابـــير تظـــــن عقاربـــا
حـــرّ السموم اخـــف مـــــن زفراتهـــا
وبهـــــا عقارب كالاقارب رتـــع
فينـــــا حمانـــــا الله لـــدغ حماتها

هذا من قصائد لو جمعت لشكلت ديوان شعر كبير ، وغير يفيض لوعة وينضح اسى ، ويقص قصة هذه الشكوى المبالغ فيها في خيال الشعراء ، لكن الواقع المفروض قد سار بشعرائنا منذ أوائل هذا القرن الى هجر القول في الديار والفرار من هذا الذي ارتضاه شعراؤنا القدامى في المفتتح والمختتم ، وكأنه قد كان واقعهم هم ، لا واقع هؤلاء الذين راقهم خطاب الأحياء وشاقتهم المشافهة وجذبتهم المصافحة ، وان كان كلٌّ يعمل لعصره وبوحي زمانه . . .

غير انه ليس بمانع ابداً ، ان تكون هنا او هناك اشارة في بيت عارض ، أو قول مطروق ، راق الشاعر وحسن صنعه امامه . . .

اما ان يأتي البارودي او شوقي او مطران ، ويفعل واحد منهم مثل ما فعل الاولون ، فذلك رأي مردود ، الا ان يكون الخطاب لساكن الديار ، لا لها ، او الذكرى الحبيبة لمراتع الصبا ، او التذكر للأيام الخوالي في ثنايا ذلك القول ، وهذا ما وقع للبارودي في سرنديب ووقع مثله لشوقي في الأندلس ، أما ما وقع لمطران او الكاظمي ، فلا يعدو ان يكون ترويحاً ، أو معبرا وقف عليه الشاعر وارسل تنهداته الوالهة . . .

أما ما وقع لشاعر كالديب ، هاجر من محافظة الى محافظة ، فلا يسلكه في عداد الذين اوتوا نصيباً من القول في هذه الذكرى او هذا الذكر ، فقد كان كلمه يعروه الافتعال ، ولا يستقيم حجة للشاعر يؤخذ بها او يؤاخذ عليها ، اللهم الا من باب التسرية او التسلي بذكرى داره وما كان فيها من خير أو شر ، أو غنى او فقر أو بما كان له فيها من أحبة طوّح به الزمان عنهم ، ونأوا هم عنه ، حتى انني لو رحت اسوق امثلة ما استقام امامي بيت واحد لجل هؤلاء المحدثين ، ينهض دليلاً على ذكر الدار او الغرام بها ، كما يلهج النابغة او امرؤ القيس ، أو زهير ، أو عنترة ، او بشار ، او المتنبي ، وان حسن العرض ، واشير الى الديار بما فيها لا اليها وحدها ، كما كان يفعل اولئك الشعراء .. لهم جميعاً عفو من الله ومغفرة ●

ابو طالب زيان – القاهرة

ورقات من الخضراء

للشاعر: طاهر زمخشري

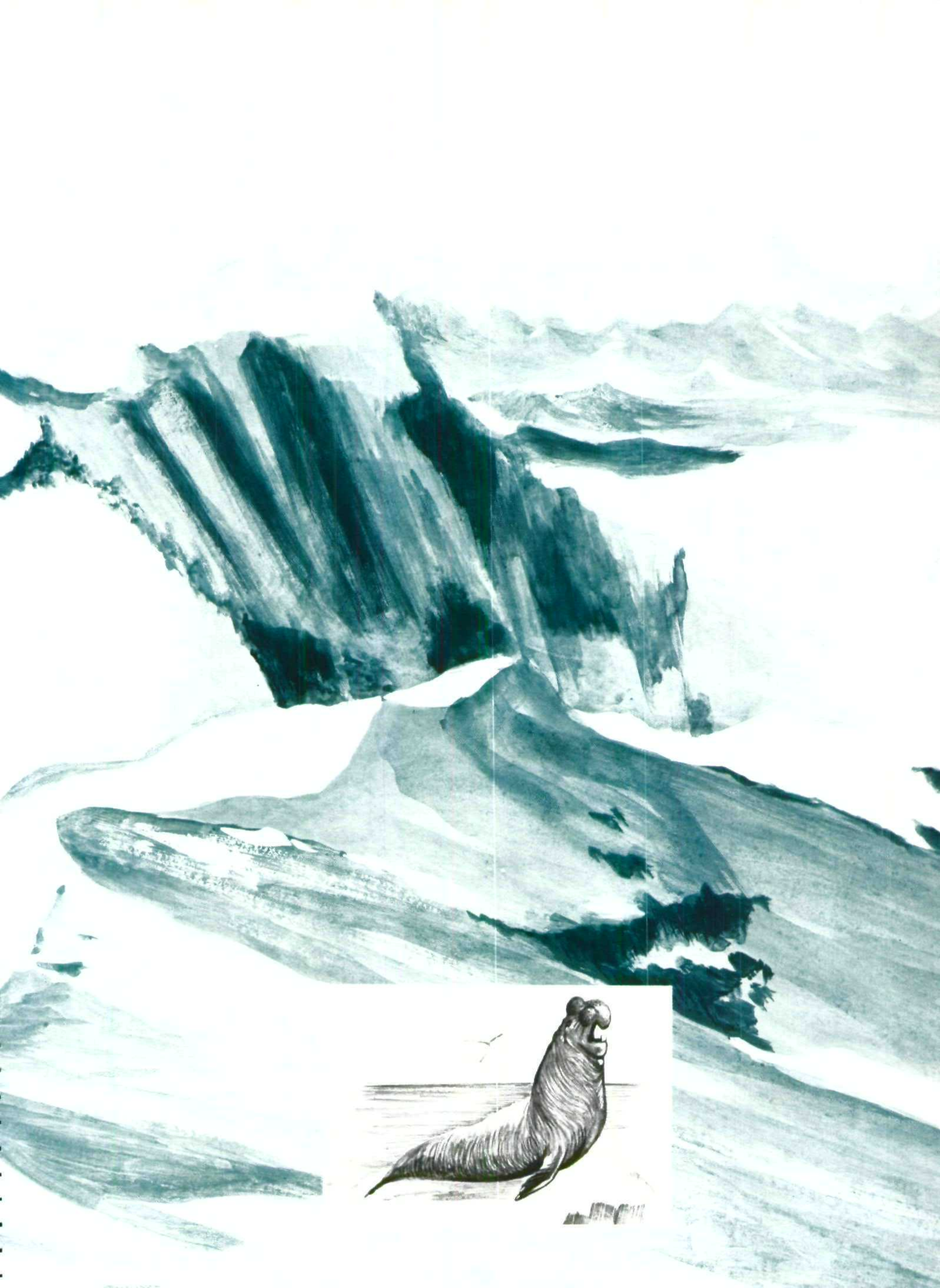
يا رؤى الحسن في الشفوف الوضاء ... ظمأ الشوق صارخ في الدماء
كيف لا يبرد الحنين لظاه ... وهو بالذكريات اشهى رواء
كلما هوّمت حيالي طيوف ... رجعت بي الى ربى الخضراء
روضها ضاحك يهدهد حسي ... بأفانين من ضروب البهاء
وردها باسم يناغم انفاسي ... ويشدو مغرد الاشذاء
ويحلق الفؤاد الذي كان فيه ... يغمر النفس نور أخت ذكاء
الصبا في إهابها اغنيات ... وشراعي الرفاق ناي الأداء
علمتني الهوى العفيف وكانت ... قرة العين بين أحلى المرائي
كلما حاد بي عن الدرب غيّ ... نوّرت لي السبيل بالايماء
فحمدت السرى ، والقيت رحلي ... في الرحاب التي اقامت بنائي

باهوى فيك يا ربى الخضراء ... اتملّى رؤاك في الظلماء
وعلى خاطري وفي حرف عيني ... صور من مفاتن الزهراء
فهي صبح ينير وجه حياتي ... والتباشير في طيوف المساء

والفؤاد الذي يرف ويهفو ... كان نضواً فصار نهب العفاء
مزقته الاشجان فانساب آها ... يستثير القديم من بلوائي
وعلى رغم ما يعاني ويلقى ... خفقه لا يزال ناي غنائي
وعلى نار شوقنا نتدانى ... ونطفي اللظى ببرد الصفاء

ما احترقنا جوى وانا سنحيا ... في ظلال سخية الأنداء
والمسافات بيننا ان ترامت ... فسنطوي آمادها بالوفاء
لندير الكؤوس من صرف ود ... ما لنا غير صفوه من رواء

طاهر زمخشري — جدة



من عجائب الكون

عجائب القطب الشمالي والقطب الجنوبي

للراحل : خليل الهنداوي

انّ قولنا « منتهى العالم » مع ما في هذا القول من غرابة ، وبعد غاية ، يمكن ان يشعرنا بوجود كوكب سيّار كروي الشكل . وهذه الاصقاع القطبية يمكنها ان تفسر لنا ذلك .

حول محور العالم الذي يخترق الارض ، في هذه الاصقاع المترامية ، نرى قطرين منعزلين ، مهجورين : احدهما القطب الشمالي ، وهو اوقيانوس رحيب المدى ، تحيط به الشواطيء الشمالية من امريكا والعالم القديم ، وثانيهما القطب الجنوبي ، وهو قطر قفر ارحب اتساعاً من حجم اوروبا .

هذه المناطق الغريبة تعكس لنا مشاهد لا حدّ لروعتها ، تعوض مشاهدتها اولئك الرواد ، عن بطولتهم واعمالهم . وفي الوقت نفسه تقدم مجموعة زاخرة من العناصر المجهولة ، يتخذها العلماء مادة للدراسة والاستكشاف .

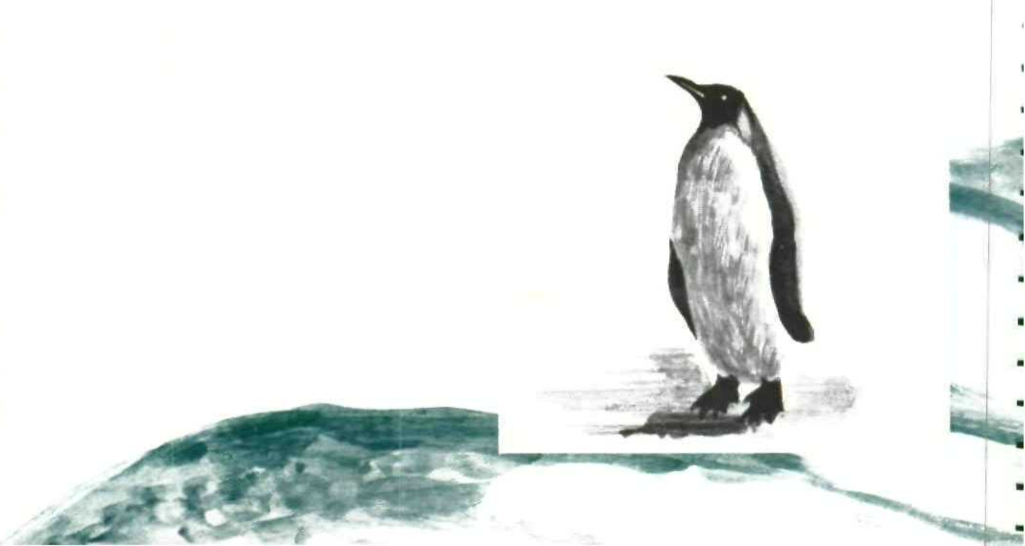
كما انها اصقاع تحوي الكثير من المعادن الثمينة الدفينة في جوفها . وبذلك اصبحت شيئاً فشيئاً ، محط الانظار ومهوى المكتشفين .

ان الاصقاع القطبية تتلقى أشعة الشمس ، في لقاء مضجر ، وهي تتألم من نقص دائم في الحرارة . والماء فيها اقرب الى التجمد منه الى الميوعة . والفوارق بين الفصول تكاد لا يحس بها من كان فيها ، وتعاقب الليل والنهار على نحو ما نعرف — غير وارد في تلك المناطق .

فالليل يدوم ستة شهور في عالم القطبين ، ثم يتلوه شفق قطبي سجافيّ يدعى النهار وما هو بنهار . ولكن النور ينساح على مادة بيضاء ناصعة ، شفافة ، بألسنته النارية ، وألوانه الساطعة ، وأحياناً يتخذ له اشكالاً لا تحصى عدداً . والبلورات الثلجية المعلقة في الفضاء ، تؤلف أحياناً هالات ضوئية عجيبة .

وطوال شهور الشتاء الستة ، تصل درجات الحرارة في القطبين الى مستويات منخفضة لا نرى لها شبيهاً في التقلب ، في المناطق الحارة ، مرة بتأثير التيارات البحرية في المحيطات ، ومرة بتأثير دورات الهواء .

وبالرغم من هذا التبدل في درجات الحرارة ، يظل البرد على اقسى ما يكون ، ففي اواسط جزيرة « غرينلند » حيث تبلغ درجة الحرارة احدى وسبعين درجة في العرض الشمالي ، على علو ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ، سجلت الغزوات القطبية الفرنسية « ٦٤ » درجة في شهر فبراير والمعدل السنوي للحرارة يتراوح بين (٢٥) درجة و (٣٠) درجة .



هنالك ، على السطح الشمالي لا تمطر السماء ابداً . وكل ما يهطل من الماء يتساقط ثلجاً . والريح تذروه — هنا وهنالك — بعواصف شديدة حتى تبلغ سرعة الرياح في ارض « اديليا » من (١٢٠) كم حتى (٢٤٠) كم في الساعة . وهذه السرعة الهائلة للرياح تشكل اكبر المخاطر للرواد .

على ان المناطق القطبية تتلقى القليل من تأثيرات سرعة الهواء . فأرض « اديليا » يهبط عليها من الماء (٣٠٠) او (٤٠٠) ميلليمتر في السنة . وأقل من هذه الكمية يهبط على شمالي سيبيريا .

على ان درجة الحرارة بانخفاضها تجعل تبخر الماء مستحيلاً . ومن عام الى عام يتصلب الثلج ، حتى يستحيل الى ثلاجة .

وفي موضعين — على القطب الشمالي ، وعلى جزيرة « غرينلند » يبقى الثلج في حالة اختناق . وبتأثير متتابع من الثلج الجديد . يتفجر الثلج المخنوق . ويشكل قبة تدعى « المجلّدة القارية » .

ومجلدة جزيرة « غرينلند » هي من الضخامة والسعة ، بحيث تزيد مساحتها على مساحة ارض فرنسا بأربعة اضعاف . ولو قدر لهذه المجلدة ان تذوب يوماً لغصت بها مجاري البحار ، وارتفعت على علو اربعين او ستين متراً .

في هذه الجزيرة يبلغ سمك الثلج ، في بعض المواضع ، ثلاثة آلاف متر . وقد تتشقق عندئذ ، القاعدة الصخرية التي تتركز عليها ، فتنخفض — في بعض المواقع — الى (٣٠٠) أو (٤٠٠) متر تحت سطح البحر .

ومن الثلاجة . تنشأ اطواف من الجليد ، تنحدر نحو البحر . وحين تبلغه تعوم فوقه ، وتتحطم فيه . وهذه الاطواف الجليدية تبلغ من الضخامة ما حمل اهل « اسكندنافيا » على تسميتها بالجبال الجليدية العائمة .

ونشأة هذه الجبال الجليدية تمثل مشهداً ، على اروع ما يكون فتنة وجمالاً .

هنالك أهداب جبل ثلجي تذوب في البحر بأصوات مزعجة ، ومشهد هذه الكتل المركومة ، ذات التعاريج الجدولية ، او الممزقة ، وهي تتهاوى الى البحر ، هو مشهد فتان ، لكنه مخيف للبحارة ، لأن الجزء الغاطس منه في الماء ، يمكنه ان يحطم اضخم السفن اذا اصطدم بها .

وهذه الجبال الثلجية طالما اغرقت من رواد القطب الكثير من الايام السالفة ، قبل ان يتم اكتشاف الراديو ، والرادار اللذين اصبحا يهديان الرواد الى طريقهم السوي .

وعلى شواطيء القطب الجنوبي تظل الثلوج متماسكة حتى اطراف مجرى البحر .

وفي عدة مواطن مفصولة عن الشاطيء ، حيث الطوف الثلجي يتحطم نادراً . يتراكم الثلج بعضه على بعض ويؤلف — شيئاً فشيئاً — اشكالاً ثلجية مسطحة . ولعل ارحبها اتساعاً في بحر « رس » تبلغ مساحة فرنسا ، وعلى قمته كومات ثلجية لاصقة بها . وهذا الركام الثلجي نفسه ينتهي برصيف مفاجيء يعلو سطح البحر بـ ٣٠ أو ٩٠ متراً . وهذا الرصيف الضخم طالما ملأ قلوب البحارة الأوائل رعباً .

وحول القطب الشمالي ، الاقل برداً ، يندر تشكل امثال هذه الأشكال المسطحة على ان في شمالي « كندا » يبدو لنا شيء من بقاياها .

هنالك ، تألفت — أول ما تألفت — الجزر الثلجية التي تتصل بالاوقيانوس الجليدي وهن من الصلابة بحيث أقام عليها الروس والاميركيون محطات لرصد الاحداث الجوية ، ومطارات تصلح لهبوط الطائرات .

وبين البحر والثلوج يظهر شيء من معالم اليابسة ، ففي جزيرة « غرنيلند » والقطب الشمالي ، تشاهد العين الخط الابيض البارد البارز من الثلاجة يحد الأفق ، والرائد يتقدم متأملاً في أية لحظة ان يظهر له — من خلال الثلج — جبل او واحة .

وفي الحق ، ان الواحات فيها نادرة وما اقبحها ! انها نتوءات صخرية ، بعضها مرصع بطحالب مغشاة . كما ان في القطب الشمالي بعض بحيرات تتموج بأمواه زرقاء ، ما اشبهها بينابيع حارة ، ضائعة في اللانهاية الثلجية . وفيه حجارة تبدو مضلعة الاشكال ، يبتليها الثلج بالتصدع ثم يزيحها الى ناحية ما . ومنها ما يبدو على شكل عدسات زجاجية ، يبلغ قطر دائرتها (١٠٠) متر وارتفاعها ثلاثين متراً ، تسيل من الأرض المرتفعة الى الضفاف ، ثم تتفرق وتتلاشى .

القطبان والفاعلية الشمسية

الاجزاء المكهربة التي تبعثها الشمس في الجو العالي تترك اثراً ملحوظاً في حقل الارض المغنطيسي .

وتنوع المغنطيسية الارضية ، شغلت عقول العلماء في دراستها . فبالقرب من القطبين نجد الحقل الارضي يحول الأجزاء المكهربة التي تظهر فيه ، فيصور دوائر ، او خطوطاً لولبية ، بدورانها حوله ، فيكون من هذا ان ترسل الشمس — على عدة ساعات — قصفا مروعا ، من الذرات الكهربائية الايجابية ، بسرعة فائقة .

وهذه الاجزاء تدخل على هيئة « حزام » في الجو العالي الذي تضيئه .

وهنا يبدو أروع مشهد للأصباح الشمالية التي تنشر روعتها وجمالها البراق على امتداد (١٠٠) و (٦٠٠) كم فوق سطح الأرض .

ودراسة هذه العلاقات والفاعلية الشمسية مع احداث الجو العالي الارضي ، ستتيح الفرصة يوماً للعلماء ، لاكتشاف ظواهر جوية وتغييرات طقسية لأجل طويل .

غزو العالم القطبي ورواده

يعود اول اتصال للانسان بالعالم القطبي الى الدهر الرابع الجليدي في تاريخ الارض ، فعلى ضفاف الثلاجة التي كانت تغطي شمالي أوروبا حتى مدينة «هامبورغ» ، ظهرت آثار لقناصين ، كانوا يصيدون « الرنة » وهي صنف من الأيائل ، يتخذ موطنه في المناطق الثلجية .

ومنذ أخذ الجو يعتدل ، والثلوج تتقهقر ، راح الرجال يصعدون نحو الشمال ، والى شرقي المنطقة الشاسعة الواقعة بين آسيا واوروبا . وفي شمالي امريكا شعوب أخرى تقدمت بدورها ايضاً نحو الاصقاع الشمالية .

واما اتصال اوروبا بالمناطق الثلجية فهو قديم جداً ، فقبل عصرنا ، رأى اليوناني « بيتاس » البحر المغطى بالثلج ، وشاهد الليالي التي لا تشرق فيها الشمس .

ثم تقاذف رجال «الفيكنغ» على زوارقهم الهزيلة ، فوق البحر الاطلسي الشمالي ، فاكتشفوا « ايـزكندة » المظلمـة ٨٧٤م و « غرينلند » ٩٨٢م ، وأنشأوا فيهما — لعصور عدة — قبل المكتشف كريستوفر كولومبوس المستعمرات الأولى الاوروبية في امريكا .

وبعد عهد كولومبس راح رواد البحار يبحثون عن المعبر الكبير الذي يسمح بالوصول الى امريكا من ناحية الشمال ، بأقصر مسافة .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ، بدأ التسابق بين الرواد ، نحو العالم القطبي . . وذلك هو عصر المسيرات المضنية ، على زلاّجات تجرها الكلاب الشديدة ، دون طائرة ولا راديو ، وسط أطواف من الجليد ، وكانوا يجهلون



تراكم الثلوج على هذا الخليج الهادىء طوال سبعة شهور في الشتاء ، وتنخفض درجة الحرارة الى الأربعين تحت الصفر .



احدى هالات الاصقاع القطبية ذات المشاهد النادرة الخلابة اذ تكون الشمس محاطة لا بدوائر مضيئة فقط بل ببقع مضيئة يطلقون عليها اسم الشموس الكاذبة .

الفيتامينات ، ويتعرضون لأخطار امراض تسبب فساد الدم .

أما القطب الشمالي فقد تم بلوغه بشكل نهائي في ٦ ابريل ١٩٠٩ على يد الكومندر « بيري » الامريكي ، اذ بلغ القطب الشمالي ، لا يصحبه الا خادمه الزنجي ، واربعة من رجال الاسكيمو ، حيث رصدوا بعض الارصاد ودونوا بعض الملحوظات ، وسبروا غور البحر ، على بضعة أميال من القطب بينما كانت قطع الجليد كجيوش من الكماة في حرب وصدام ، تجتمع وتفترق حولهم ويلطم بعضها بعضاً بأصوات مزعجة .

وأما القطب الجنوبي فقد تنافس على بلوغه البريطاني « سكوت » والنرويجي « اندرسون » . ولكن « سكوت » بلغ بعد جهود ومكابدة نقطة القطب الجنوبي في مطلع ١٩١٢م ، ووجد هناك العلم النرويجي الذي غرزه منافسه « اندرسون » قبل ثلاثة اسابيع ، في ركام ثلجي .

وفي طريق العودة قضى « سكوت » اجله بعد ان ترك مذكرات اودع فيها ما لقيه هو ورجاله من مصاعب تشيب لها الولدان .

لكن تضحيته لم تذهب عبثاً ، اذ نجد اليوم الغزوات القطبية تتوالى ودراستها تتم بوسائل حديثة نافذة .

ثم حلّت الطائرات والبالونات والغواصات ، والسفن المصفحة محل الزلاجات التي تجرها الكلاب .

وأول رائد استخدم الطائرة الكومندر « برد » الذي يعد بحق رائد القطبين . وفي الرحلة الاولى طار عند الصباح ، فبلغ القطب ، وحوّم حوله ، وعاد الى مقره ، بعد ظهر ذلك اليوم . كذلك شأنه في تحويمه فوق القطب الجنوبي .

وفي عام ١٩٢٦م حلق البالون « نورج » الايطالي فوق القطب . « حيث السماء ملبدة بالغيوم ، والارض سهل واسع من الجليد تنثر منه القطع الثلجية المحددة كأنياب الليث . وكل ذلك لا اثر فيه للحياة فوق هذا السهل القاتم الحزين . سرنا سبع ساعات ونصف الساعة ، لا تطالعنا شمس ولا يؤنس وحدتنا وحش ، او طير .

وفي عام ١٩٣٠ ، شقت غواصة طريقها تحت أطباق الجليد الى العالم القطبي . وعادت في صيف ١٩٣١ من رحلتها ، بعد ان انجزت غايتها من دراسة تلك الاصقاع .

ومن الغريب ان البوصلة لا تجدي نفعاً في هذه الرحلات ، لأن ابرتها تتجه دائماً الى القطب المغنطيسي الشمالي . ولذلك لا يعتمد عليها . وانما كان الاعتماد على البوصلة الشمسية التي تدل على اتجاه ظل الشمس .

وكان مما اكتشفه الرواد ان القطب الجنوبي يقع في سهل يعلو عن سطح البحر عشرة آلاف متر تقريباً ، وأصقاعه بر متصل اوسع من قارة « استراليا » . والأصقاع الجنوبية ابرد من الأصقاع الشمالية ، ولكن في الاصقاع الجنوبية من الغرائب ما تتعلق به النفوس .

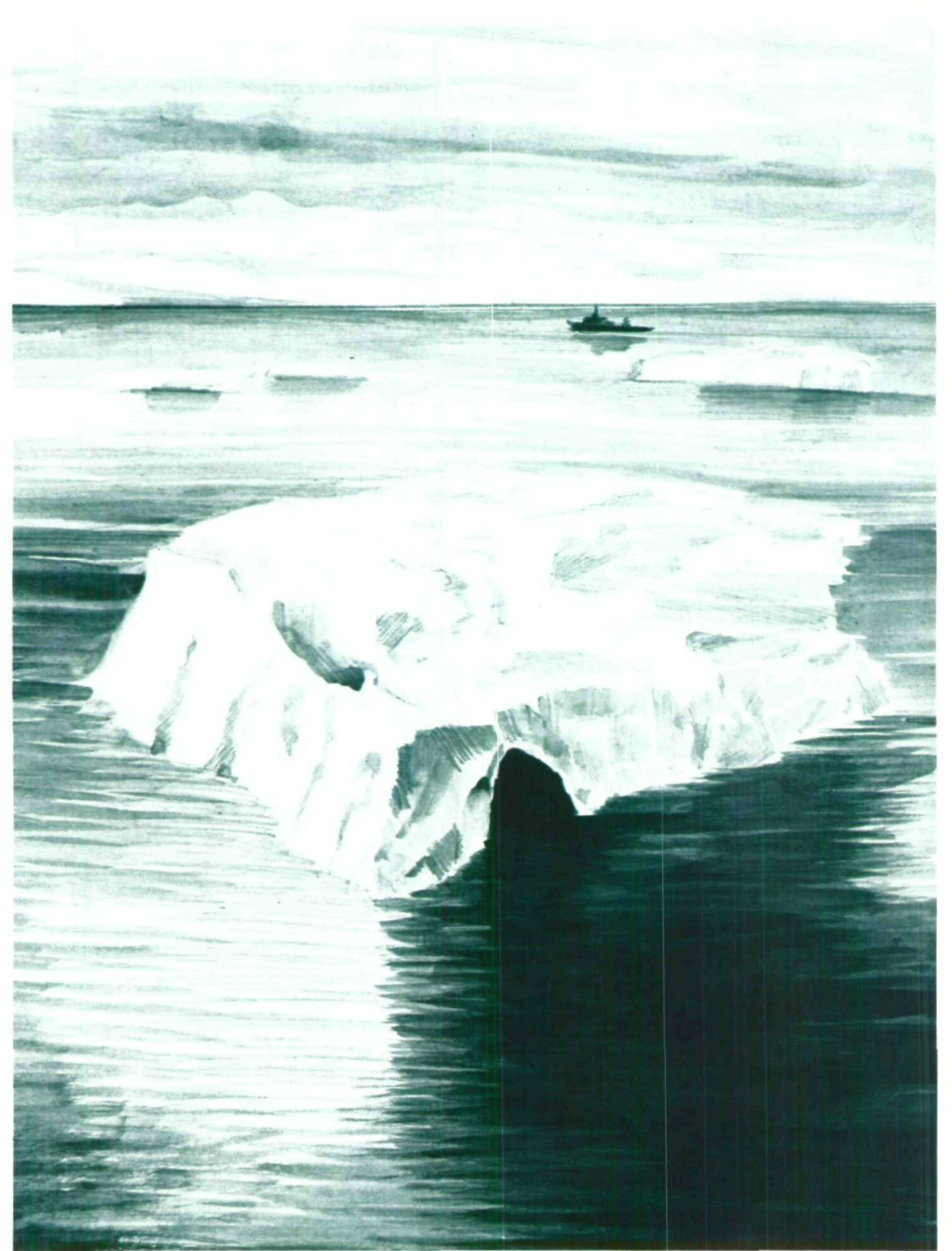
تبلغ مساحة القارة المتجمدة الجنوبية خمسة ملايين ميل مربع ، ولكنها مفاوز جليدية بعيدة عن العمران ، تتعذر فيه الحياة .

بينما القطب الشمالي أصلح للحياة ، لأنه اخف برداً ، ولذلك تكثر في البلاد الشمالية نباتات كثيرة ، وحيوانات متعددة ، كالفقمة والدب ، والارنب ، والثعلب ، والقطا القطبي ، وطائر « البطريق » الملكي الذي يعيش اسراباً .

ولم يكن الغرض من هذه الرحلات الوصول الى القطبين فقط ، بل البحث العلمي الذي يوسع نطاق العلوم الفلكية ، والجيولوجية ، والبيولوجية والنباتية ، والحيوانية .

فالصيد ، في البر والبحر ، واكتشاف المعادن الثمينة ، والوقوع على أصناف نباتية جديدة في البيئة القطبية مهدت اكثر من ٧٠٠ كيلومتر للزراعة في الشمال .

وفي كل مكان مدن تنشأ ومدن تذوب ، مما يعقد مشكلة الحياة على ارض مجلدة ، بصورة دائمة في اعماقها .



تتجه الثلوج العائمة في طور ذوبانها نحو الجنوب ، وهي تتخذ اشكالا غريبة وهمية .

واخيراً ، مع امتلاك الخطوط الجوية ، اصبحت العوالم القطبية الطريق الاقصر على بعض المسافات بين القارات ، وصار القطب الشمالي الطريق المألوف من طوكيو الى كوبنهاغن .

وفي الوقت نفسه ، نجد الاصقاع القطبية غصت بالطائرات الحربية والرادار ومخازن الاسلحة .

وما بين المستقبلين : مستقبل السلام ، ومستقبل الحروب المفروضة كيف يتصرف العالم ؟ وماذا عسى . أن يكون ـ على هذا العالم الوحشي ، المجلّد ذي الملاءة البيضاء ـ مستقبل الانسانية ؟ .

الاسكيمو

ان الرجل الحقيقي ، ذا السمات القطبية هو الأسكيمو وحضارته العجيبة برزت ، على نحو أبكر ، في الشمال ، من أية حضارة ظهرت عند بقية الشعوب القطبية الشمالية .

فالرجل الأول قد بلغ اقرب ارض من القطب ، من شمالي جزيرة « غرينلند » قبل ان يبلغها الرجل الحديث ، وان آثاره من آلات الصيد التي تركها هناك شاهدة على ذلك .

وقبل مليون سنة او مليونين من عصرنا ، كان حتى ذلك الحين ، كغيره من الشعوب الشمالية ، وكواحد من الذين انحدروا من ذريته ، ممن يقطنون خليج نهر « هدسن » يعيش على لحم « الرنة » .

والى اعمق من الشمال ، على ارض جرداء بحيث يقل هذا الحيوان كانت الفقمة مصدر غذائه ، ولكن كيف كان يقتنصها من تحت الماء ؟

ان التضحية بقطعة من اللحم يطرحها في المياه الثلجية ، كانت تكفي للايقاع بالفقمة صيداً حلالا .

برز ـ برأس كرأس الاسكيمو ، ذي العينين المغولتين البراقتين ، ذلك الاختراع العجيب ، وهو الزورق الذي لا عهد بمثله من قبل .

انه يتألف من جسد مرصع بالجلود ، لأن الخشب لا وجود له ، يمرق في الماء مروق السهم ، ولا يستقر له توازن الا عند الحركة ، شأنه في ذلك شأن الدراجة المعروفة .

وهو ـ الى ذلك ـ اخترع اللولب ، مقلداً به سن كركدن البحر الذي يسكن المياه القطبية .

أما الكوخ ـ منزل الشتاء ـ فقد أنشيء أيضاً على هيئة لولبية بفضل الكتل الثلجية التي عرف الانسان الاول ان يستخدمها .

وهو الذي اكتشف أيضاً حديد « النيازك » التي تتساقط على الارض من رجوم السماء ، وابتدع الرداء الذي يمنع عنه زمهرير الشتاء ، الذي لم يتقن الاوروبي صنعه الا بعد ان اقتبسه عنه .

وبحكم اقامته بعيداً عن العالم اضاع معرفته ببقية الناس . وفي عام ١٨١٨م حين وقع نظر الاسكيمو على الرائد الانجليزي « جولد روسن » شك هؤلاء في كونه انساناً ، لأنهم كانوا يعتقدون بألا وجود لإنسان على الارض سواهم .

قاعدة باروف

ان قاعدة « باروف » هي القاعدة الأكثر اقتراباً من القطب الشمالي ، في الجانب الامريكي . اقيمت على شبه جزيرة « ألاسكا » في بحر « بوفورست » الى جانب قرية صغيرة للاسكيمو .

ومن فيها يذوقون من البرد درجة (٤٠) تحت الصفر . أضف الى ذلك العواصف الثلجية التي تهب باستمرار . وهم مضطرون الى الاختباء سبعة شهور في ملاجئهم .

هؤلاء المختصون بالدراسات العلمية ، يدرسون بأحدث الوسائل ، الاحوال الجوية في الا صقاع القطبية التي لا يعرف عنها الناس الا القليل . والحركات الطبيعية لتلك الاصقاع ، التي

غرائب جزيرة غرينلاند ، رياح عاتية وعواصف تزجي سحباً ثلجية تفوق بقوتها العواصف الرملية التي تغزو الصحراء .



تلعب دوراً هاماً في نصف الكرة الشمالي . ومغنطيسية الارض والاصقاع القطبية وسطح الجليد . . هذا السطح الذي يتحول الى مناقع في فصل الربيع . تنساب على منحدرات الروابي . حاملة معها مواد البناء . في تحركاتها ممهدة بذلك الطريق لانشاء مواطيء صالحة للطائرات ورصد المظاهر الجوية وضغط الهواء . واختلاف درجات الحرارة وامواج المد والجزر . وجاذبية الارض ومغنطيسيتها .

وهناك اطباء يدرسون التأثيرات الفيزيولوجية للرجال الذين يعيشون في مرتفعات تلك الاصقاع . ومدى احتمالهم للبرد الشديد .

ان قاعدة « باروف » تعد أيضاً من أهم القواعد . على خط الرادار في اقصى مناطق الشمال الامريكية .

حقاً ، ان هذا الكون معجزة . والعلم الذي آلى على نفسه ان يكشف عن هذه المعجزة هو معجزة المعجزات ●



تاريخ القصة السورية

بقلم: الأستاذ عدنان الداعوق

إن مولد القصة السورية ليس عميق الجذور ، وتاريخها ، كشكل من أشكال الفنون الأدبية ، تاريخ قصير . فالقصة كما ائتلفت في يومنا هذا ، لم تكن معروفة بالأمس . . الا انها بوجه عام ، وكفن قائم بذاته ، وكعالم مثير وعجيب ، وغامض أحياناً ، استهوت الكاتب السوري ، وأثارت في نفسه مختلف المشاعر واقصى الحماس للتقليد . . فراح ينبش في بطون الكتب ، ويبحث فيما يستورد من ثقافات متعددة الاتجاه واللون عن هذا الفن الجديد .

وتساءل الكاتب السوري ، منذ ان خيم عليه ظل الحكم العثماني :

ما هي القصة ؟

هل هي ذلك اللون من الأدب الاستهلاكي الذي كان محبباً عند الناس بغية التفكه والتسلية . ؟ أم أنها احدى الظواهر الأدبية المتطورة في العالم ، وعلى الكاتب السوري ان يجيد التقليد حتى دون دراية باتجاه أو أصول . . ؟ أم انها ، كمفهوم عام ، سرد لحوادث التاريخ والأدب والفكاهة . . ؟

الحقيقة ان القصة السورية ، فيما مضى ، كانت كل هذا في وقت واحد . . فهي إملاء الصحف والمجلات والسلاسل بما كانت تحتاجه السوق ، وبما يعود على الناس بالتسلية والتفكــه والرياضة النفسية ، مع تطرق لحوادث الناس وتاريخهم واعمالهم .

والحقيقة الثانية هي أن اللون السائد الذي كان منتشراً في الصحافة السورية من أدب هزلي فكاهي ، انما كان وليد العصر وأسلوب الأوان . فالبيئة السورية ، شجعت هذا اللون الصحفي الأدبي كرد فعل نفسي للصراع الفكري الذي كان يشعر به الفرد السوري من جراء الحكم العثماني على البلاد آنذاك .

غير أن الرأي العام بمرور الزمن . . وبالتفاعل العلمي والثقافي ، راح يطالب بما هو أجدى واعم فائدة . لكن الجعبة خالية والنفس مندفعة . . فلم يكن امام الأدباء السوريين الاوائل سوى باب الترجمة . . وهو الباب الواسع العريض الذي أطلوا منه على العالم مباشرة ، واشرفوا من خلاله على ثقافات الامم وفنونها المختلفة ، وفن القصة على وجه خاص . حتى اذا كان عام ١٨٨٦ ، صدرت في دمشق أول نشرة ادبية قصصية لصاحبيها سليم وحنا عنحوري .

وكانت بداية حال الأدباء السوريين في الترجمة ككل بداية ، لا تخلو من ركاكة في الأسلوب ، وتعرض المترجم لرأيه الخاص فيما يترجم في أغلب الأحيان ، كما لا تخلو أيضاً من كثير من التعابير العامية المفرطة ، الى لجوء جزئي وكلي احياناً الى ترجمة النص نظماً وشعراً وزجلاً .

وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعض القصص الطويلة الموضوعة والمؤلفة ، وكان اول المهتمين بها « فرنسيس مراش » الذي اصدر قصته « غابة الحق » عام ١٨٦٢ ، في حين صدرت روايته الثانية « در الصدف في غرائب الصدف » عام ١٨٧٢ في بيروت . كذلك نشر « نعمان القساطلي » قصة « مرشد وفتنة » و « الفتاة الأمينة وأمها » و « أنيس وأنيسة » في مجلة « الجنان » التي كانت تصدر في بيروت خلال الأعوام ١٨٨٠ — ١٨٨١ — ١٨٨٢ . ويمكننا ، على هذا ، ان نسمي مرحلة « فرنسيس مراش» و «نعمان القساطلي » بالمرحلة الأولى لأدب القصة في سورية .

في حين تميزت المرحلة الثانية . بداية مع مطلع القرن العشرين ، تحمل خصائص وسمات تطور القصة في سورية ، وكان ذلك على يد « شكري العسلي » الذي كتب لأول مرة القصة القصيرة في عام ١٩١٣ ، وكانت بعنوان « نتائج الاهمال » بالاضافة الى روايته « فجائع البائسين » التي صدرت عام ١٩٠٧ في مجلة « المقتبس » السورية . أما « ميخائيل صقال » فقد نشر في عام ١٩٠٧ قصة « لطائف السمر في سكان الزهـرة والقمر » . . . كل هذا كان الى جانب باب الترجمة الذي لم يغلق ، بحيث اتاح للناس مطالعة العديد من القصص والروايات العالمية الشهيرة على أيدي نخبة من الأدباء المرموقين امثال « رزق الله حسون » و « محمد كرد علي » .

أما بزوغ فجر القصة السورية فيرجع الى ثلاثة أمور :



أولاً : الصحافة ، فقد تنوعت الصحافة وتعددت ، بحيث أخذت تغري الأدباء بالنشر وطلب الشهرة .
ثانياً : الاحتكاك الثقافي ، حيث ان سورية أنجبت عدداً من الشباب المتطلع الى الثقافة العالمية ، وذلك نتيجة حتمية التطور او بعيد بعثات الدراسة ، هذا اضافة الى اتصال سورية مباشرة بالثقافة الفرنسية بعد الانتداب الفرنسي على سورية
ثالثاً : كانت سورية على صلة وثيقة جداً بالدول العربية الأخرى وخاصة مصر التي قطعت اشواطاً بعيدة في التجديد الأدبي وكافة فنون الكتابة الأخرى . . وكانت قد برزت في مصر يومذاك ثمرات القصة الناضجة التي وقفت على قدميها ثابتة عند « الدكتور محمد حسين هيكل » في قصة « زينب » عام ١٩١٤ ، وفي أعمال « محمد تيمور ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم » وغيرهم .

ولا شك في ان هؤلاء الرواد من الأدباء والقصصين المصريين واللبنانيين أمثال « سليم البستاني ، وفرح انطون ، ونقولا حداد ، ويعقوب صروف ، وجبران خليل جبران » وغيرهم . . قد أثروا ، بشكل مباشر وغير مباشر احياناً ، في انبثاق فجر القصة السورية وفي باقي الاقطار العربية الاخرى .

لكننا عندما نريد الوقوف امام القصة السورية القصيرة على مجال التكامل والنضج الفني ، لا بد وان نعترف بفضل الرواد السوريين الأوائل امثال « علي خلقي » صاحب المجموعة القصصية المسماة « ربيع وخريف » الصادرة عام ١٩٣١ و « محمد النجار » صاحب « في قصور دمشق » و « فؤاد الشايب » صاحب المجموعـة القصصية « تاريخ جرح » التي صدرت عام ١٩٤٤ .

أما على صعيد الرواية ، فقد برز « معروف الارناؤوط » كأول كاتب للرواية التاريخية ، فأصدر « سيد قريش » عام ١٩٢٩ في ثلاثة أجزاء ، و « عمر بن الخطاب » عام ١٩٣٦ في جزئين ، و « طارق بن زياد » عام ١٩٤١ ، و « فاطمة البتول » عام ١٩٤٢ . ويستطيع الدارس الناقد ان يتابع روايات « معروف الارناؤوط » التي خلفها في الملحمة العربية والاسلامية ، فيجدها على جانب كبير جداً من الاغراب والخيال والبعد عن الموضوع الاساسي الذي وضعت له ، اذ ان اغلب هـذه الروايات ، وتدل عناوينها على انها روايات عربية واسلامية ، تدور حول شخصيات اجنبية في معظمها غريبة عن البيئة العربية كل البعد . ولقد لاحظ الاستاذ المؤرخ « شاكر مصطفى » ابتعاد « معروف الارناؤوط » عن التاريخ في رواياته التاريخية ، فقال : « ان الشخصيات الرئيسية في روايات الارناؤوط ليست تلك التي قدمها له التاريخ وانما تلك التي صاغها خياله . . » ، وكان « الارناؤوط » على الرغم من مراجعه وحرصه ، يتجاوز في رواياته على الحقيقة التاريخية ، وبالامكان ان تقرأ هذه الروايات ، ولكن دون ان تستند على ادلة تاريخية حقيقية ، بل هي في غالب الأحيان للمتعة والرياضة النفسية لأنها من صنع الخيال الواسع الرحب .

كذلك برز اسم الدكتور « شكيب الجابري » كأحد الرواد الأوائل ، فأصدر على التوالي اربع روايات ادبية منها : « نهم » عام ١٩٣٧ ، « قوس قزح » عام ١٩٤٦ ، « وداعاً يا أفاميا » عام ١٩٦١ .

ويعتبر « شكيب الجابري » من رواد الرواية الأدبية في هذه الفترة ، فقد ذهب الى اوربا ليدرس هناك ، واحس بالهوى الأدبي يدفعه الى عالم الكتابة ، فلاقى كل اعتبار لانطلاقاته الادبية والروائية . والحقيقة انه عندما طلع بروايته الأولى « نهـم » عام ١٩٣٧ على القارىء السوري ، طلع كرائد حقيقي مبدع في فن الرواية ، ونال استحسان القراء والنقاد معاً ، لأنه حرص أشد الحرص على استكمال الجوانب الفنية بحيث جاءت روايته كاملة البناء شكلاً ومضموناً .

غير ان جيل الشباب من الادباء السوريين جاء في اوائل الخمسينات ليبني صرحاً شامخاً في بناء القصة السورية ، مقتفياً آثار الرواد الاوائل ، مطوراً ومجدداً بما يتلاءم والفكر الحديث والثقافة الجديدة حتى ظهرت عدة مدارس فنية قصصية تلفت الانتباه وتسترعي نظر الناقد والقارىء على حد سواء ●

عدنان الداعوق — حمص

القاضي الشاعر

بقلم: الدكتور محمد مصطفى هدارة

يعرف ابو الحسن علي بن عبد العزيز في تاريخ الفكر العربي باسم القاضي الجرجاني ، كما يعرف معرفة واسعة في اوساط المثقفين بدراسته النقدية لشعر المتنبي في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه» . ولكن كثيراً من الدارسين لا يعرفون انه من فرسان الشعر في عصره الزاخر بالفحول في كل علم وفن .

ولد القاضي في جرجان – وهي مدينة عظيمة من ناحية خراسان – وبها نشأ وتلقى علوم الفقه والحديث ، ثم تولى القضاء بها ، فقضاء الري ، حتى صار قاضي القضاة . وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٢هـ وهو دون السبعين بقليل .

والقرن الرابع الذي شهد حياة القاضي الجرجاني من أخصب عصور الفكر العربي ،على الرغم من انه يعد – من وجهة نظر التاريخ السياسي – عصر التجزئة والتفرق والخلاف وظهور العناصر الاعجمية ، ولكنه – من الوجهة الثقافية – عصر الازدهار والنضج في كل مجالات العلوم والفنون ، اذ بنى العلماء والأدباء فيه على جهود سابقيهم في القرون الثلاثة الأولى . كما كان لاتساع رقعة البلاد الاسلامية وشيوع العلم في ذلك الزمان نصيب كبير في وفرة عدد العلماء في كل فروع المعرفة . وأحدث التنافس القوي بين الامارات المختلفة التي نشأت في ذلك العصر اثراً عظيماً في تشجيع العلماء والأدباء وحثهم على الابداع والتجويد . ولو اننا نظرنا في محيط الأدب والدراسات الادبية والبلاغية فسنجد عدداً كبيراً ممن يفخر بهم الفكر الاسلامي . ويكفي هذا العصر فخراً أن يكون فيه المتنبي والى جانبه من نجوم الشعر ابو فراس الحمداني ، وابو العباس النامي ، وابو طالب المأموني ، وابو الحسين السلامي ، وابن وكيع وغيرهم . وسنجد من الكتاب أمثال ابي الفرج الاصفهاني والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان الهمذاني ،وابي بكر الخوارزمي وابن العميد . اما اعلام الدراسات الادبية والبلاغية ففيهم الآمدي والصولي والحاتمي وابو هلال العسكري وامثالهم . وقد لفت الازدهار العلمي في هذا القرن نظر المستشرق « ادم متز » فخصه بدراسة مستقصية شاملة . وتظهر في شخصية القاضي الجرجاني جوانب كثيرة من معارف عصره . فقد اشتهر بالفقه وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء ، وأكب على تفسير القرآن الكريم ، ولهذا ذكره السيوطي في طبقات المفسرين ، واشتغل بالتاريخ وله فيه كتاب يسمى « تهذيب التاريخ » نقل عنه ابن خلدون في تاريخه ، وأورد الثعالبي فصلين منه في « اليتيمة » وهو يبسط الاصول الأدبية والقضايا النقدية التي عرفت حتى عصره بفكر بعيد عن التعصب للقديم ، ولهذ يسميه احد الدارسين المحدثين « الناقد الانساني » . ونراه يحلل عناصر الشعر واثر البيئة فيه ، كل ذلك في كتابه « الوساطة » التي يقيمها على اساس المقايسة فلا ينبغي ان يحكم على الشاعر بما اساء فيه بل بما احسنه وجوّده . ويظهر كتابه حياده العلمي ونزاهته في عرض آراء خصوم المتنبي وانصاره ، ثم جرأته في الحق عند التعرض لحكم من الأحكام ، ولو كان صادراً من الوزير الصاحب بن عباد الذي تربطه بالقاضي روابط كثيرة ، كما يكشف كتابه عن ذخيرته الهائلة مما يحفظ من الشعر وذوقه الرفيع في اختياره .

اما شعره الذي اقصر حديثي عليه في هذا المقال ، فهو يدل على موهبة فنية اصيلة ، ولا يشبه شعر العلماء الذين ينظمون في أحيان كثيرة لمجرد استكمال مظهر من مظاهر الفصاحة ، دون ان يكون لديهم الحس الفني والموهبة الحقيقية . وكان القاضي من اهم شعراء الصاحب بن عباد ، وهم كثيرون إذ كان عددهم يزيد على شعراء الرشيد كما يقول مؤرخو الأدب . ويؤكد بعض من ترجموا للقاضي وجود ديوان يجمع شعره ، ولكنه لم يصل الينا . ولم تكن العلاقة بين القاضي والصاحب بن عباد علاقة شاعر بممدوح ، او علاقة مستمنح بمانح ، بل كان الصاحب يعرف حق المعرفة قدر القاضي ومكانته في العلم والأدب ، فهو يقول له .

أذا نحن سلّمنا لك العلم كله
فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورها
فانهم لا يرتضون مجيئنا
بجزع اذا نظّمت انت شذورها

بل كان الصاحب يدنيه ايضاً لسمو اخلاقه التي يشبهها بالعطر الذي اهداه اليه ، فيقول :

يا ايها القاضي الذي نفسي له
مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه
فكأنما أهدي له اخلاقه

وقد كتب القاضي الجرجاني في الصاحب اشعاراً كثيرة تعبر عن علاقة المودة التي تربط بينهما ، ولهذا لا نجد فيها تكلفاً ولا نفاقاً ، وانما نجد روحاً صادقة قوية التعبير . يقول في قصيدة له يهنيء فيها الصاحب بإبلاله من مرض الم به :

بـك الـدهـر يندى ظلّـه ويطيب
ويقلـع عمّـا ساءنا ويتـوب
وتخمـد آثار الـزمـان وربمـا
ظللنـا وأوقـات الزمـان ذنوب
أفـي كل يـوم للمكارم روعـة
لها في قلـوب المكرمـات وجيب
تقسّمت العليـاء جسمك كلـه
فمـن ايـن فيـه للسقام نصيب
اذا ألمت نفس الأمـير تألمـت
لهـا انفس تحيـا بهـا وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهـاً احبّه
حياتـي وفي وجـه الأمـير شحوب
وليس شحوبـاً مـا أراه بوجهـه
ولكنّـه في المكرمـات نـدوب

ولما كان الصاحب اديباً مبدعاً في عصره بغض النظر عن منصبه الوزاري ، لهذا نرى القاضي يمدحه لأدبه وفنه فيقول :

ولا ذنب للافكـار انت تركتهـا
اذا احتشدت لم ننتفع باحتشادهـا
سبقت بأفـراد المعانـي وألفـت
خواطرك الالفـاظ بعـد شرادهـا
فـان نحـن حاولنـا اختراع بديعة
حصلنا على مسروقهـا ومعادهـا

ومن الطبيعي ان يحتفل شعراء الصاحب بن عباد بمناسبات مختلفة ، يتبارون فيها بأشعارهم . ويجودون ما شاء لهم فنهم . فحينما اقام الصاحب داراً تبارى شعراؤه في وصفها ، وكان مما قاله القاضي فيها :

ليهـن ويسعد من بـه سعد الفضـل
بـدار هي الدنيا وسائرهـا فضل
تولّى لـه تقديرهـا رحب صـدره
على قـدره والشكل يعجبـه الشكل
بنيّة مجـد تشهد الارض أنهـا
ستطوى ومـا حاذى السماء لها مثل
بنيت على هـام العـداة بنيـة
تمكّـن منهـا في قلوبهـم الغـل

وكأني بالصاحب كان يتصيد المناسبات ليطلق لشعرائه عنان القول فيستمتع بثمرات قرائحهم وفيض عبقريتهم ، ومن ذلك انه حصل على فيل كان في عسكر خراسان ، فطلب الى من بحضرته من الشعراء ان يصفوه على وزن قصيدة عمرو بن معد يكرب :

أعـددت للحـدثـان سابغـة وعـدّاء علنـدى

وقد اطلق على هذه المجموعة من القصائد التي قيلت في وصف الفيل (الفيليات) . ولم تكن المناسبات التي يتبارى فيها شعراء الصاحب جداً خالصاً ، بل كان منها ما يتميز بروح الفكاهة والسخرية . فحين مات برذون ابن عيسى المنجم — وكان ممن يلوذون بالصاحب — طلب الصاحب من شعرائه رثاءه ، واطلق على مجموعة تلك القصائد (البرذونيات) ، وسنرى ان القاضي الجرجاني لم يكن — مع وقاره وفضله — بعيداً عن روح الفكاهة والمرح في مثل هذه المناسبة اذ يقول مخاطباً صاحب البرذون :

ذهب الطرف فـاحتسب وتصـبر
للـرزايـا فالحـر مـن يتقزّى
فعلى مثلـه استطير فـؤاد الحازم النـدب حسرة واستفـزا
لـم يكن يسمح القيـاد على الهون ولا كان نافرا مشمئزا
ربّ يـوم رأيتـه بـين جـرد
تتقفـاه وهـو يجمـز جمـزا
وكأن الابصـار تعلـق منـه
بحسام يهـز في الشمس هـزا

وقد كتب القاضي اشعاراً في أغراض أخرى كثيرة يعبر بها عن عواطفه واحاسيس نفسه ، ويعرض لنا جوانب مضيئة من شخصيته الفذة التي ترق عندما يتغزل في عفة او يتشوق الى بلد كانت له فيها ذكريات حلوة ، يتغزل القاضي فيقول :

وفـارقت حتى مـا أسرّ بمـن دنـا
مخافـة نأي أو حـذار صدود
وقـد جعلت نفسي تقـول لمقلتي
وقـد قربوا خوف التباعـد جـودي
فليس قريبـاً مـن يخـاف بعـاده
ولا مـن يرجى قربه ببعيـد

أما اشواقه فشعره يذوب رقة فيها ، ويبدو انه خلّف في بغداد ذكريات جميلة لم تبرح خاطره ، اذ ظل موصول الحنين الى ايامها ولياليها واحبابه فيها ، يقول :

يا نسيم الجنوب باللـه بلّـغ
مـا يقول المتيّـم المستهـام
قـل لأحبابـه فـداكـم فـؤاد
ليس يسلـو ومقلـة لا تنـام
بنتـم فالسهـاد عنـدي مقيم
مـذ نأيتم والعيش عنـدي حمام
فعلـى الكـرخ فالقطيعة فالشطّ قباب الشعير مـني السلام
يـا ديار السرور لا زال يبكـي
بـك في مضحـك الرياض غمـام
رب عيش صحبته فيـك غـض
وجفـون الخطوب عنـا نيـام
في ليال كأنهـن أمـان
مـن زمـان كأنـه احلام
زمـن مسعـد وإلـف وصـول
ومُنى تستلـذهـا الاوهـام
كـل أنس ولـذة وسـرور
قبـل لقياكـم علـيّ حـرام

ومن الواضح ان الفترة التي امضاها القاضي في بغداد كانت في زمن الصبا ، لاننا نجد ذكرياته عنها غضة حية ، حبيبة الى نفسه ، لا يرضى ان يسدل عليها ستائر النسيان ، بل هو دائم التغني بها ، وتمنّى رجوعها ، يقول :

أراجعـة تلك الليالـي كعهـدهـا
الى الوصـل أم لا يرتجى لي رجوعها
وصحبـة أحبـاب لبست لفقـدهم
ثيـاب حـداد يستجد خليعهـا

اذا لاح لي من نحو بغداد بارق
تجافت جفوني واستطير هجوعها
سقى جانبي بغداد كل غمامة
يحاكي دموع المستهام هموعها
معاهد من غزلان انس تحالفت
لواحظها الا يداوى صريعها
يحن اليها كل قلب كأنما
يشاد بحبات القلوب ربيعها

ويكشف القاضي الجرجاني عن جانب آخر من شخصيته هو جانب القوة في مواجهة ماديات الحياة ، والعزة والمنعة ازاء المغريات الدنيوية ، وهو يضن بعلمه ان يكون في خدمة شهواته الدنيا ، ويرى ان النصب في اكتساب المعرفة ينبغي ان يثمر عزاً لصاحبه وليس ذلاً وخنوعاً ، يقول :

يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً
من الذم اعتدّ الصيانة مغنما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى
ولكنّ نفس الحر تحتمل الظما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة
اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظّموه في النفوس لعظّما
ولكن اذلّوه فهان ودنسوا
محيّاه بالاطماع حتى تجهّما

ويؤكد القاضي علمه بأن الغنى – ويعني عرض الدنيا – والعلم لا يجتمعان ، اما غنى النفس فهو الزم للعالم والعلم ، يقول :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر
فأما اصطباري فهو ممتنع وعر
كأني الاقي كل يوم ينوبني
بذنب وما ذنبي سوى انني حر
فان لم يكن عند الزمان سوى الذي
أضيق به ذرعاً فعندي له الصبر
وقالوا توصّل بالخضوع الى الغنى
وما علموا ان الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرما
علي الغنى : نفس الابية والدهر
اذا قال هذا اليسر ابصرت دونه
مواقف خير من وقوفي بها العسر
اذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم
بنفس فقير كل اخلاقه وفر

ومن الجلي ان القاضي كان يعتزل الناس نأياً بنفسه عن مواطن التهم ، وكان هذا الخلق سجية فيه يعين عليها عاملان آخران : وظيفته في القضاء ، وحبه للعلم . ونراه يكشف عن طبيعته في الانقباض عن الناس في قوله :

ولي خلق لا استطيع فراقه
يفوتني حظي ويمنعني رشدي
نفور عن الاخوان في غير ريبة
تعدّ جفاء والوفاء لهم وكدي
غذيت به طفلا فان رمت هجره
تأبى واغرتني به ألفة المهد

ولكنه يبين في أبيات أخرى احد العاملين اللذين ذكرتهما في سبب انقباضه عن الناس ، يقول :

ما تطعّمت لذّة العيش حتى
صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس عندي شيء اعزّ من العلم فما ابتغي سواه أنيسا

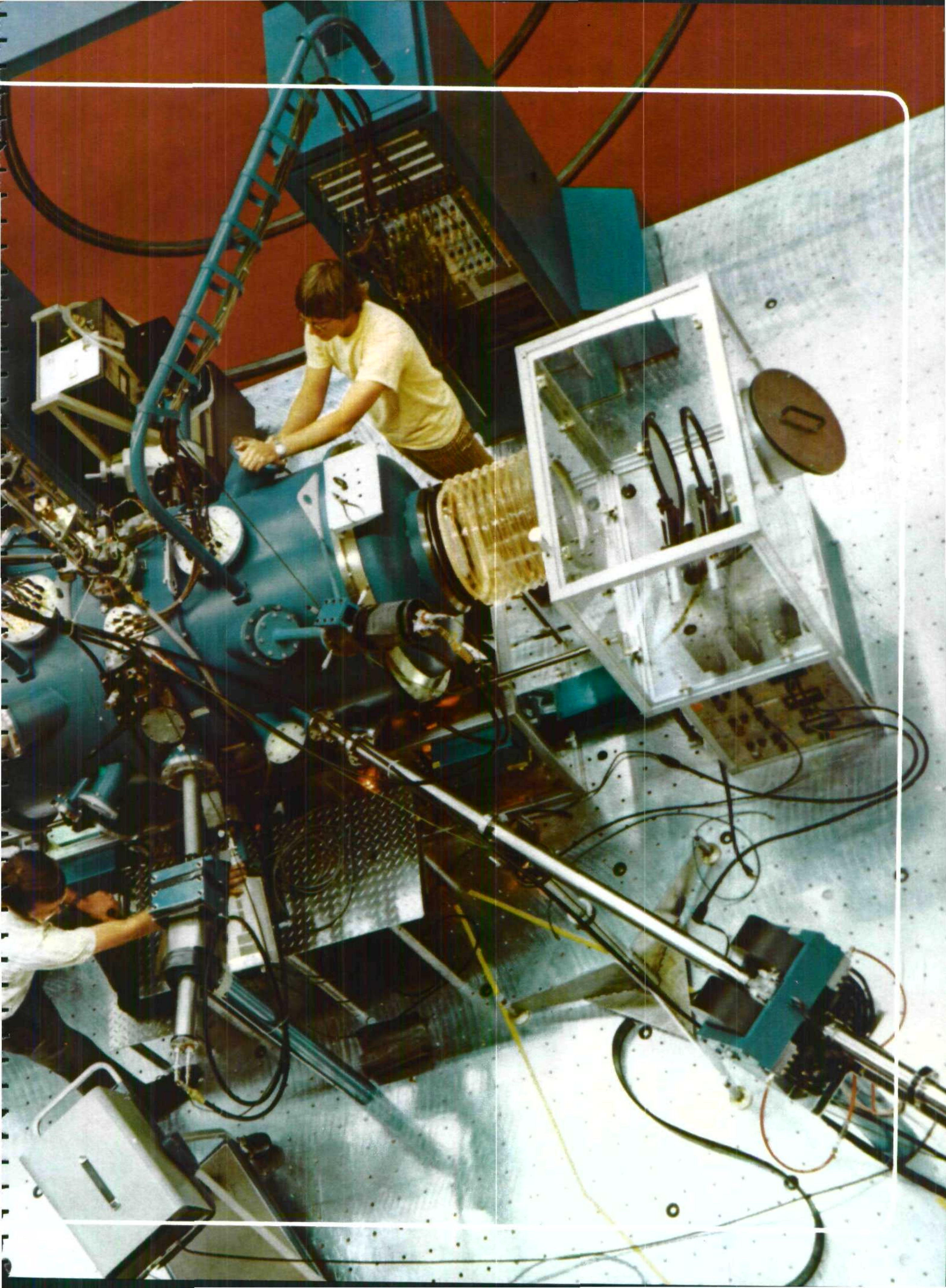
ولعلنا نستطيع مما قدمنا من شعر القاضي ان نضع ايدينا على بعض خصائصه الفنية . فهو يمتاز بالحساسية الفنية المرهفة في اختيار الفاظه للتعبير عن أفكاره ومعانيه ، وهو يحسن الى حد بعيد نظم عبارته الشعرية بعيداً عن التعقيد والاغراب والتكلف ، على الرغم مما نجده في شعره من صنعة هي سمة شعر القرن الرابع كله ، ولكن القاضي لا يسرف في التماس الانواع البديعية ، ولهذا لا نجد في شعره اغراقاً او اسفافاً او مبالغة ممقوتة . وقد ساعدته ذخيرة محفوظه الهائل على نصاعة التعبير بحيث لا يهبط فيه شأن بعض المتأخرين من المولدين الى ما يقرب من الاسلوب العامي . ويحس قارىء شعره بروح المتنبي ترفرف عليه ، وكأني به قد تأثر خطاه الى ابعد حد .

وليس من شك ان القاضي الجرجاني قد عبر بشعره عن نفسه وحياته وشخصيته ، ولهذا جاء شعره صادقاً قوياً ، وليس مجرد حلية لعلمه ، أو صفة تضاف الى كونه فقيهاً ومؤرخاً وكاتباً وناقداً ، وقد حق له ان يفخر بشعره الذي تدرك عينه الناقدة مواطن القوة فيه حين يقول :

وما الشعر الا ما استفزّ ممدّحاً
وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضبا
أطاع فلم توجد قوافيه نفرا
ولم تأته الالفاظ حسرى لواغبا
وفي الناس اتباع القوافي تراهم
يبثون في اثارهن المقاتبا
اذا لحظوا حرف الروي تبادروا
وقد تركوا المعنى مع اللفظ جانبا
وان منعوا حر الكلام تطرقوا
حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا
ولكنني أرمي بكل بديعة
يبتن بألباب الرجال لواعبا

صدقت يا أبا الحسن فلم تكن قوافيك نافرة ، ولا الفاظك متكلفة متعبة ، وكان قولك هو حر الكلام الذي يخلب الألباب وتردده الأجيال ، فما أحسن ما وصفت به شعرك ●

د . محمد مصطفى هدارة – الرياض



أشعة لازر

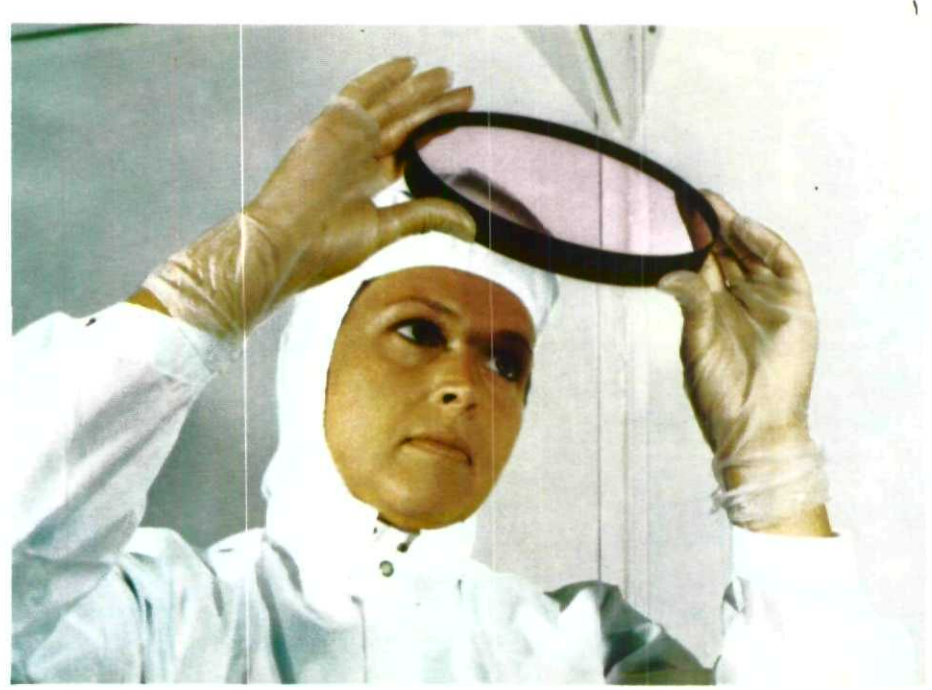
وانتاج الطاقة

يعلق العلماء على أشعة لازر أملاً كبيراً في احداث تفاعلات الاندماج النووي التي من شأنها توفير الطاقة لعالم الغد، بعد استنزاف المصادر التقليدية الحالية.
فالعلماء جادون في أبحاثهم وتجاربهم العلمية المتقدمة التي تلعب فيها أشعة لازر دوراً رئيسياً، متطلعين إلى ايجاد مصدر لاينضب من الطاقة.

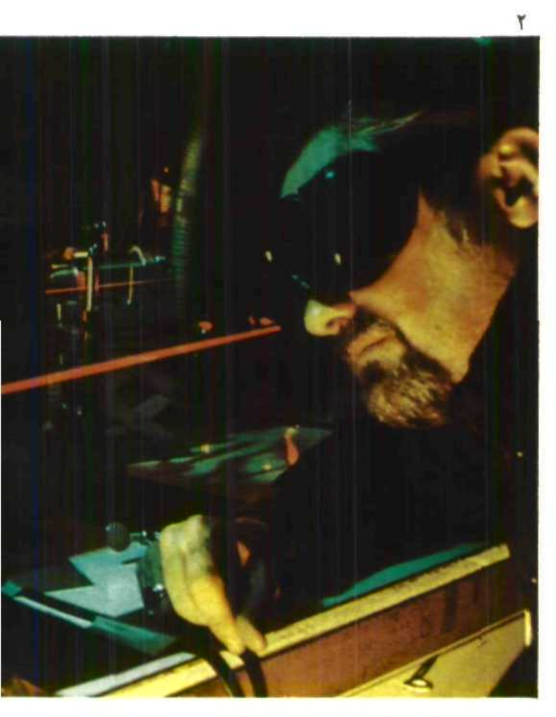
في الوقت الذي ينشط به السباق بين الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجياً في سبيل كبح طاقة القنابل الهيدروجينية والسيطرة عليها لتسخيرها للأغراض السلمية ، يجري من ناحية أخرى سباق صامت في الاتجاه ذاته لتطوير اشعة لازر ذات القوة الخارقة ، وتحسين اجهزة توليدها ، ثم ربطها في مسار واحد مع القنبلة الهيدروجينية للتحكم في أي اندماج نووي ، لانتاج طاقة هائلة تستغل في توليد الكهرباء . ويأمل العلماء العاملون في حقل تجارب « الالتحام النووي – Nuclear Fusion » في ان تصبح أشعة لازر القوة المهيمنة على الاندماج النووي لتمد العالم بمورد ثابت من الطاقة يفي باحتياجاته المتزايدة باطراد . ففي تقدير بعض خبراء الطاقة ان هذا الأمر يحتاج الى نحو ربع قرن من الزمان للتوصل الى نوع من السيطرة على الاندماج النووي واستغلال ذلك في انتاج الكهرباء بتكاليف معقولة . اما كيف يتم الحصول على الطاقة الوفيرة ، فيرد العلماء بقولهم ان ذلك ممكن عن طريق تفجير عدد من القنابل الهيدروجينية المتناهية في الصغر بأشعة لازر – Laser Light. وهذه القنابل الهيدروجينية الصغيرة التي يتحدث عنها العلماء والباحثون هي في واقع الامر كريات – Pellets بالغة الصغر لا تتجاوز الواحدة منها رأس الدبوس حجماً . وتتألف الكرية من نظيري الهيدروجين – Hydrogen Isotopes ، ويسمى احدهما الديوتيريوم – Deuterium اي الهيدروجين الثقيل ، والآخر التريشيوم – Tritium . ولتفجير هذه الكرية تعرض لشواظ من اشعة لازر الخارقة في غرفة يسودها فراغ شبه مطلق ، لتسخينها الى درجة حرارة مرتفعة جداً في خلال جزء من البليون جزء من الثانية ، وقبل ان تتاح لها فرصة الانفجار يتم ضغطها فتزداد كثافتها ، وينتج عن ذلك تفاعل اندماج نووي – Fusion Reaction يتم بواسطته الحصول على الهيليوم – Helium وعزل نيوترون – Neutron واحد وتوليد كميات هائلة من الطاقة .

← هذه هي غرفة الهدف حيث تتم عملية تسليط أشعة لازر على كريات الالتحام النووي .

١



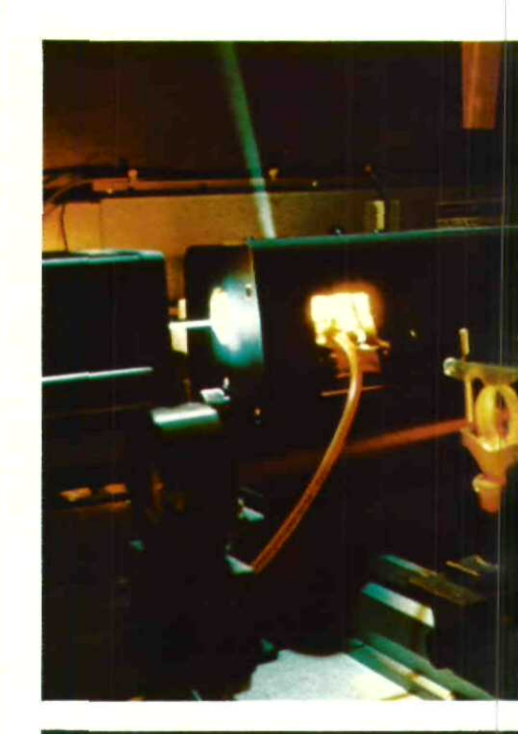
٢

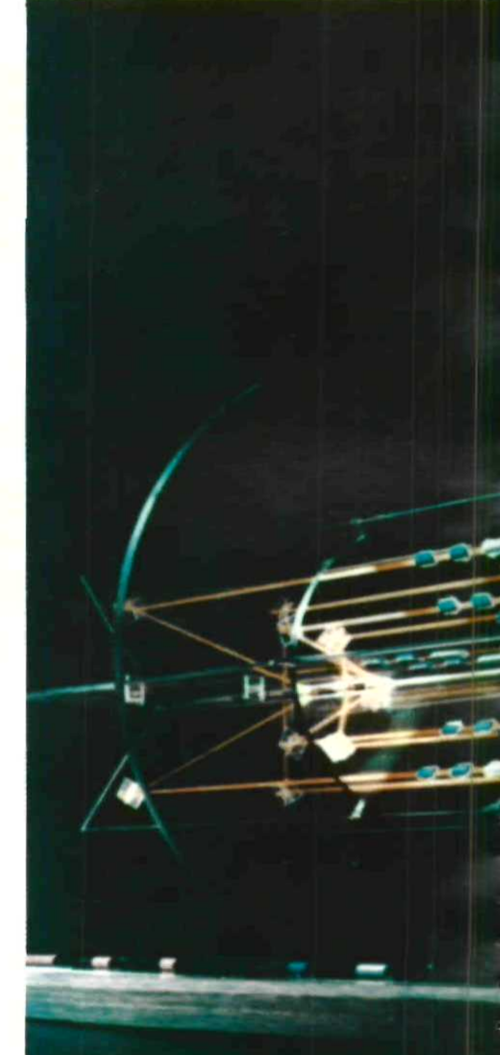


٣

ويقول العلماء انه بتسخين خمس او عشر كريات في الثانية الواحدة يمكن الحصول على مصدر ثابت للطاقة من جراء تفاعلات الاندماج النووي السلسليّة . هذا ولا تزال الابحاث الهادفة الى توفير الطاقة للبشرية قيد التجارب العلمية المركزة التي تلعب فيها اشعة لازر دوراً رئيسياً . ويؤكد خبراء ابحاث الاندماج النووي دور أشعة لازر في احداث تفاعلات الاندماج النووي التي يؤمل فيها العلماء خيراً بالنسبة لتوفير مصدر طاقة ثابت . بيد انه لا تزال هناك بعض الصعوبات والعوائق التي يواجهها العلماء تتعلق بالسيطرة على قوة الالتحام النووي الحراري ، وهي الصعوبات التي يحاولون التغلب عليها وتذليلها . ولعل اكبر مشكلة تعترض سبيل تلك الابحاث المتعلقة بالالتحام النووي بأشعة لازر هو ان الاندماج لا يتحقق الا على درجة حرارة تصل الى مائة مليون درجة مئوية ، كما يحدث في عمليات الالتحام النووي في أعماق الشمس ، والتي تتولد منها كميات هائلة من الطاقة . فليس هناك جهاز مادي يتعرض لمثل هذه الحرارة الهائلة يستطيع المقاومة ، انه يذوب بل يتبخر أيضاً . ومع ذلك فان العلماء جادون لابتكار اجهزة يمكن بواسطتها مقاومة هذه الحرارة المستعرة . واذا كان الالتحام النووي ليس هو الحل النهائي لمشكلة الطاقة فهو على الاقل يقترب من الحل . هذا بالاضافة الى وضع الطاقة الشمسية — Solar Energy وغيرها من انواع الطاقة نصب الاعين كمصادر جديرة بالاعتبار والتطوير . ولكي نقف على مقدار اهمية الابحاث المتعلقة بالاندماج النووي فعلينا ان نتصور حال العالم بأجمعه في المستقبل ، اذا افترضنا ان بلدان العالم اخذت تستهلك الطاقة على نحو واسع ، كما هي الحال في الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول المتقدمة صناعياً ، وان تعداد سكان العالم قد تضاعف نحو عشر مرات ، وارتفع استهلاك الفرد عشرة اضعاف، عندها سيصبح لدينا عالم يستهلك من الطاقة نحو الف مرة اكثر مما هو عليه حالياً . هذه الحقائق المجردة يضعها العلماء في الميزان وهم يسعون الى التوصل الى مصدر طاقة ثابت يسد احتياجات البشرية .

والالتحام النووي بأبسط أشكاله ، هو ما يحدث حين تلتحم نويتان ذريتان لتؤلفا نوية واحدة ثقيلة ، كما يجري لذرات « الديوتيريوم » المستخدم في كثير من تجارب الالتحام . وحين تلتحم النوى ، تطلق مقادير ضخمة من الطاقة . ولكن عملية الالتحام لتحرير الطاقة لا تتحقق الا بتسخين الديوتيريوم الى مائة مليون درجة مئوية على الاقل مدة ثانية كاملة ، وهذا يشكل في حد ذاته امراً عسيراً يتطلب قدراً كبيراً من التجارب الدقيقة للتوصل الى نوع من الأوعية لاحتواء هذه الحرارة المستعرة ، التي لا تتأتى عادة الا في جوف النجوم مثل شمسنا . ان تسخير حرارة تفاعل الهيدروجين الالتحامي في الاغراض السلمية التي تتوفر مادته الاولية ، وهي الهيدروجين ، بمقادير لا حدود لها في المحيطات والبحار ، امر يشحذ همم العلماء بشكل مثير ، لانهم يرون فيه الحل النهائي





١ – تتطلب أبحاث الالتحام النووي بأشعة لازر استخدام معدات نظيفة خالية من الغبار واتخاذ اقصى درجات الحيطة والحذر ، وهنا نشاهد كيف يتّم تجميع اقراص الزجاج المعالج بالنيوديميوم وكيفية وضعها في «وحدات تضخيم الموجات – Amplifying — Units » ، كل ذلك في سبيل تحقيق الهدف النهائي وهو توفير مصدر نظيف لا ينضب من الطاقة الكهربائية .

٢ – أحرز علماء مركز ابحاث آي . بي.أم – IBM قصب السبق حين استطاعوا صنع اللازر باستعمال الأصباغ العضوية ، وهذا النوع من اللازر احدث انقلاباً جذرياً في علم التحليل الطيفي للعناصر – Spectroscopy

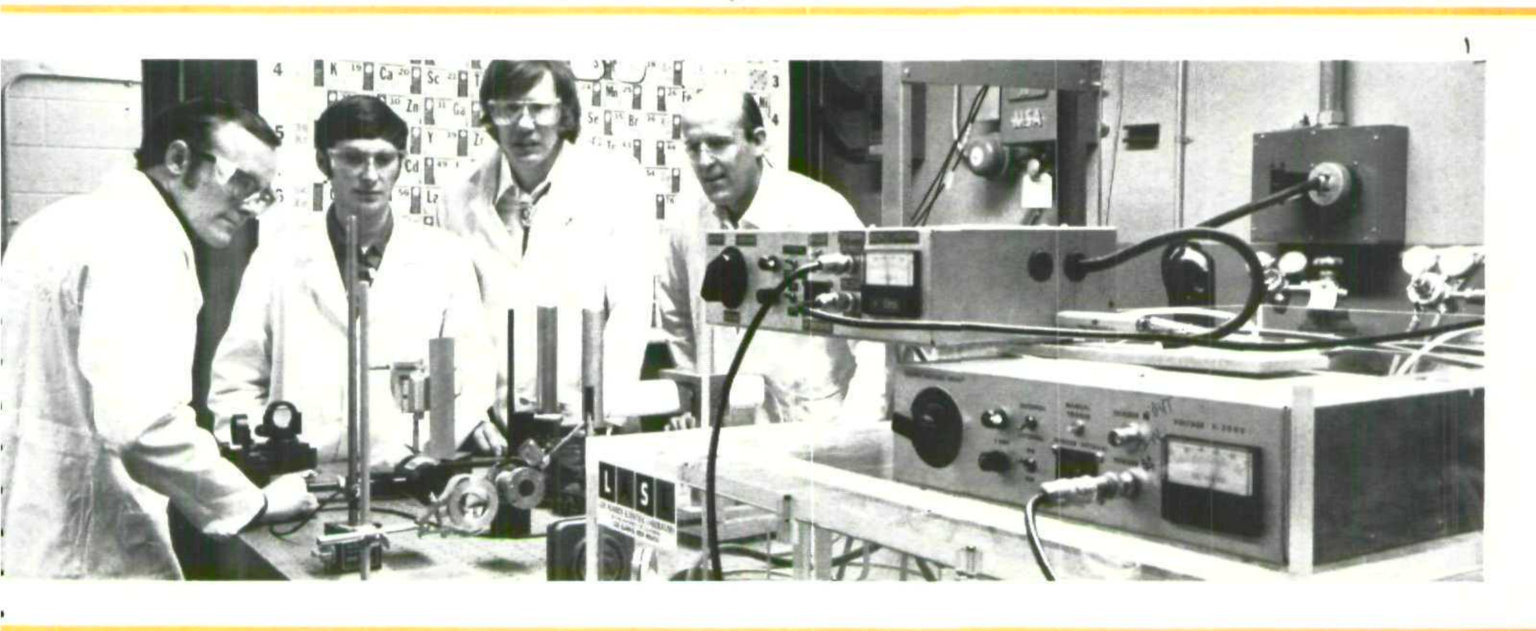
٣ – نموذج من اللازر المستخدم في التجارب المخبرية لتوليد الطاقة . ويبدو في الصورة مجموعة مؤلفة من ١٢ لازر قوة كل منها ١٠٠٠ جول يحتوي كل منها على ٨ وحدات لتضخيم الموجات الضوئية على شكل اقراص زجاجية معالجة بالنيوديميوم – Neodymium ، ويبلغ طولها ١٥٠ قدماً ، وفي نهاية السلسلة مرآة لتوجيه وتبئير أشعة لازر نحو كرية الديوتيريوم – التريشيوم لإحداث الالتحام النووي .

لمشكلة توفير الطاقة . ولكن العلماء ، قبل ان يستطيعوا تسخير هذه الطاقة ، في حاجة اولاً لايجاد وعاء يمكن ان يتم فيه هذا التفاعل بصورة مأمونة ، علماً بأن اية مادة صلبة من المواد المعروفة على وجه الارض تتبخر حين تبلغ درجة حرارة ضئيلة بالنسبة الى درجات الحرارة التي يتم فيها التفاعل الالتحامي . ولقد كانت اكثر المحاولات طموحاً حتى الآن في السعي الى حل هذه المشكلة العسيرة تصميم ما يطلق عليه العلماء « القوارير المغناطيسية — Magnetic Bottles » أو «الشرانق المغناطيسية » حيث تستخدم مجالات مغناطيسية قوية ينحصر عملها في توجيه جزيئات الهيدروجين المشحونة كهربيا نحو محبس محدد . ولم يحقق العلماء حتى الآن من هذه التجارب الا نجاحاً محدوداً . ومع ذلك فان الجهود لا تزال تبذل في هذا الاتجاه رغم العقبات والعراقيل .

يقول قائل لماذا لا يتجه العلماء الى الطاقة النووية الناشئة عن « الانشطار النووي — Nuclear Fission » المستخدمة حالياً في تشغيل المفاعلات الذرية وغيرها من المجالات الصناعية ؟ يجيب العلماء بأن الطاقة الناشئة عن الانشطار النووي هي حل مؤقت قد لا يتجاوز عشرات السنين ، خاصة وان عنصر اليورانيوم وغيره من العناصر القابلة للانشطار الموجودة في العالم ستؤول الى النفاد . وعليه فانهم يرون في حرق مادة ثمينة نادرة كاليورانيوم ، لتوليد الطاقة ، عملا تبذيرياً لا ضرورة له ، ناهيك عن ان عنصر اليورانيوم الثمين قد يستعمل لاغراض اخرى اكثر نفعاً . بينما في عمليات الالتحام النووي التي وقودها الديوتيريوم ، وهو النظير الثقيل لعنصر الهيدروجين ، فانه من السهل الحصول على هذا الوقود بكميات وفيرة في المحيطات والبحار من خلال عمليات تقطير بسيطة . فمحطة ضخمة لتوليد الطاقة الكهربائية قد لا تحتاج لتشغيلها الا لبضعة لترات من الماء الثقيل الذي يستخدم في عمليات الالتحام النووي. ولعل ما يمتاز به الالتحام النووي لتوليد الطاقة على الانشطار النووي هو ان النفايات المتخلفة عن الاحتراق ضئيلة جداً ، اذا ما قيست بالنفايات ذات النشاط الأشعاعي الخطر المتخلفة عن الانشطار النووي ، والتي يتحتم التخلص منها بعزلها كلية عن المخلوقات الحية لمئات بل لآلاف السنين اما بدفنها في أعماق الارض بأوعية محكمة مصنوعة من الصلب والاسمنت خوفاً من تسرب الاشعاعات ، او دفنها في قعر المحيط . ومع ان التريشيوم ، الذي ينشأ عن عملية الالتحام النووي ، هو النظير الهيدروجيني المشع ، الا انه يمكن التخلص منه باعادته الى المفاعل على شكل « كريات — Pellets » جديدة تأخذ دورها ثانية في عملية التحام نووي مستمرة ،اضف الى ذلك ان التريشيوم يتميز بجودة عالية كوقود لدورة الالتحام النووي التي ينتج عنها في آخر المطاف نظيرا الهيليوم اللذان لا يشكلان خطراً ، بل يستفاد منهما في عمليات أخرى . الى هنا تبدو المسألة على الصعيدين النظري والعملي مشجعة لولا معضلة الحرارة الهائلة التي يتم بها الالتحام النووي لتوليد الطاقة المتفجرة . ففي درجات الحرارة العادية فإن نوى الهيدروجين تتنابذ بفعل التنافر المتبادل بين شحناتها الكهربائية الموجبة . ولكي تتغلب نوى الهيدروجين على التنافر لا بد من تعريضها الى درجة حرارة تفوق حد التصور ، فتفقد استقرارها المألوف على درجات الحرارة العادية ، وتتحرك بسرعة كبيرة فتتلاحم مولدة غازاً كثيفاً يولد لدى تمدده ضغطاً هائلاً ، عندما يصل الى درجة حرارة الانصهار . هذا الضغط الهائل الذي ينتج عنه الانفجار النووي لا يعتبر مشكلة في قلب الشمس لأن الجاذبية الهائلة المتأتية من ثقل الغلاف الخارجي للشمس تعمل على كبحه والسيطرة عليه . اما بالنسبة لهذا الضغط الناجم عن الالتحام النووي الذي يصنعه الانسان فانه ينطلق بلا قيد مانحاً القنبلة الهيدروجينية قوتها المدمرة .

لقد لبث العلماء عقدين من الزمان وهم يحاولون جهدهم لاحتجاز هـذا الضغط الناشىء عن الالتحام النووي في قوارير مغناطيسية ، أو في مجالات مغناطيسية جبارة ، فكان نجاحهم محدوداً ، سيما وان ذرات غاز الهيدروجين عندما تتعرض لدرجات حرارة عالية تتمدد ، فتفقد استقرارها بحيث يتعذر احتواؤها ، فيتسرب شيء منها خارج القوارير المغناطيسية قيد التجارب ، ولذا فان دراسات الباحثين والفيزيائيين اتجهت الى « الحصر المغناطيسي — Magnetic Confinement » . ولم يلبث فريق من الفيزيائيين في السنوات القليلة الماضية أن ركز جهوده لدراسة عمليات الالتحام

١



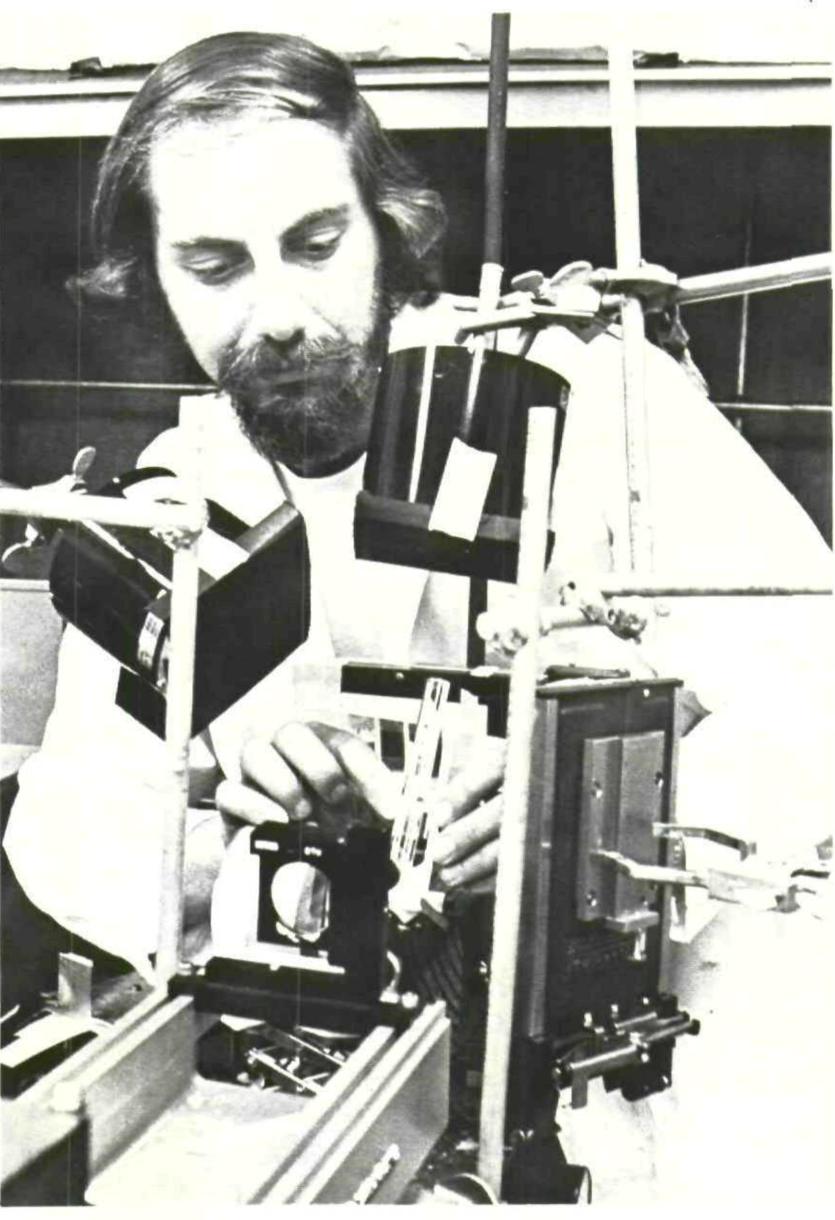
فهرست المجلد الخامس والعشرين

١٣٩٧هـ

٤



٢



٣

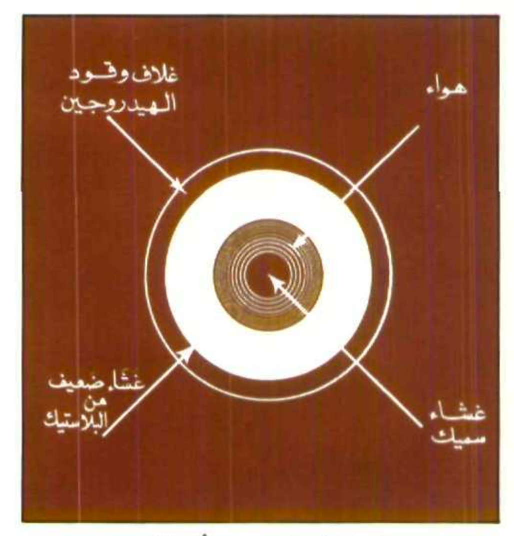


١ – فريق مـــن العلماء يقومون باستخدام جهـاز خاص لفصل النظائر – Isotopes لثلاثة عناصر نادرة بواسطة اللازر .

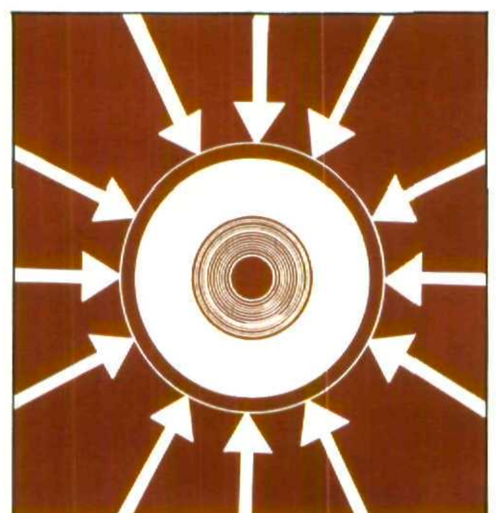
٢ – الدكتور « جون كبروس – John G. Kepros » هـو أول من انتج الأشعة السينية – X ray في العالم مع اثنين من العاملين في حقل الكيمياء في جامعة يوتا الامريكية .

٣ – في سبيل الحصول على عناصر مناسبة لصنع اللازر يقوم هذا العالم بفحص قطعة من الزجاج البلوري الكريستال بجهاز مقياس الشدة النسبية لاجزاء الطيف « فوتومتر الطيفي – Spectrophotometer »

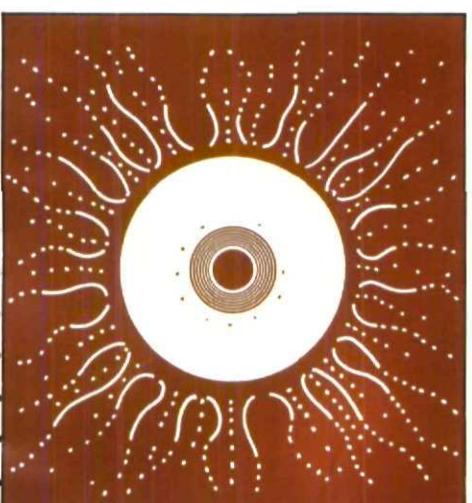
٤ – ضمن سلسلة التجارب التي تجريها الهيئة الوطنية لادارة ابحاث الملاحة الجوية والفضاء بامريكا « ناسا » اطلقت هذا القمر الصناعي لدراسة ديناميكية الأرض باشعة لازر ، وذلك لمساعدة العلماء على قياس القوى الباطنية تحت القشرة الأرضية المسببة للهزات الأرضية .



مقطع عرضي لكرية التحام نووي بأشعة لازر يبدو فيه القلب الهيدروجيني المغلف بأغشية من البلاستيك الخفيف والسميك .



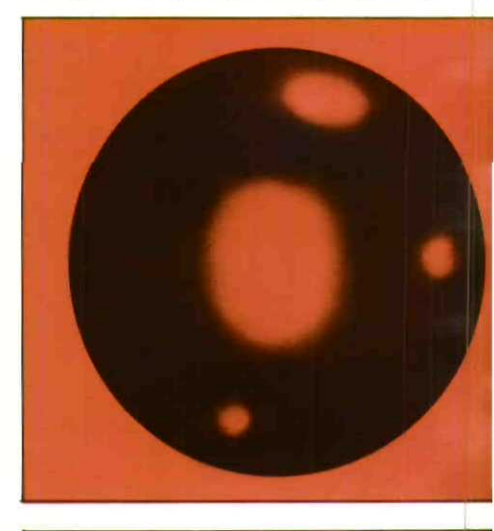
العمود الضوئي لأشعة لازر ينقسم الى عدة اعمدة ضوئية تلتئم على غشاء الكرية الخارجي فيسخن سطحها بالتساوي.

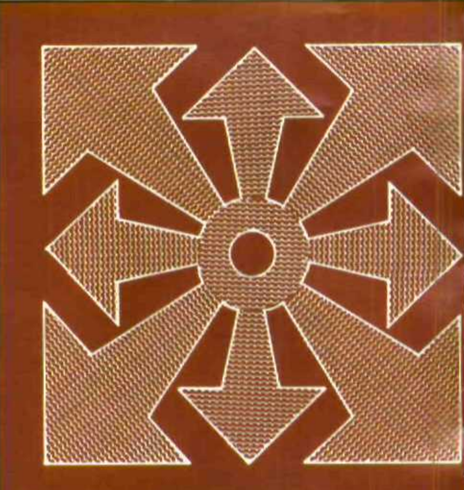


يتبخر الغشاء الخارجي للكرية بفعل الحرارة مولد انفجاراً داخلياً اشبه بعملية هصر على اللب المركزي ... يبدو جلياً في هذا الشكل

نظر عام من الاعلى لمختبر لورنس ليفرمور المختص بأبحاث الالتحام النووي بأشعة لازر ، ونشاهد على لنضدة في الوسط «مولد الذبذبات الرئيسي – Oscillator» ا اللون الازرق والشكل «L» وهو يولد نبضة لازر قوتها ١ ميغاواط تدوم اقل من جزء من المليون من الثانية ، ثم نقسم الى نبضتين احداهما تتجه يساراً والأخرى يميناً نحو رفة الهدف – Target Chamber ويمران في رحلتهما ن مولد الذبذبات الى غرفة الالتحام النووي بوحدات ضخيم الموجات الضوئية ، والمرشحات الضوئية وغيرها ن الاجهزة لوقاية معدات اللازر من التلف من قوة لأشعة .

ورة عادية لكرية تعرضت لشواظ من أشعة لازر .



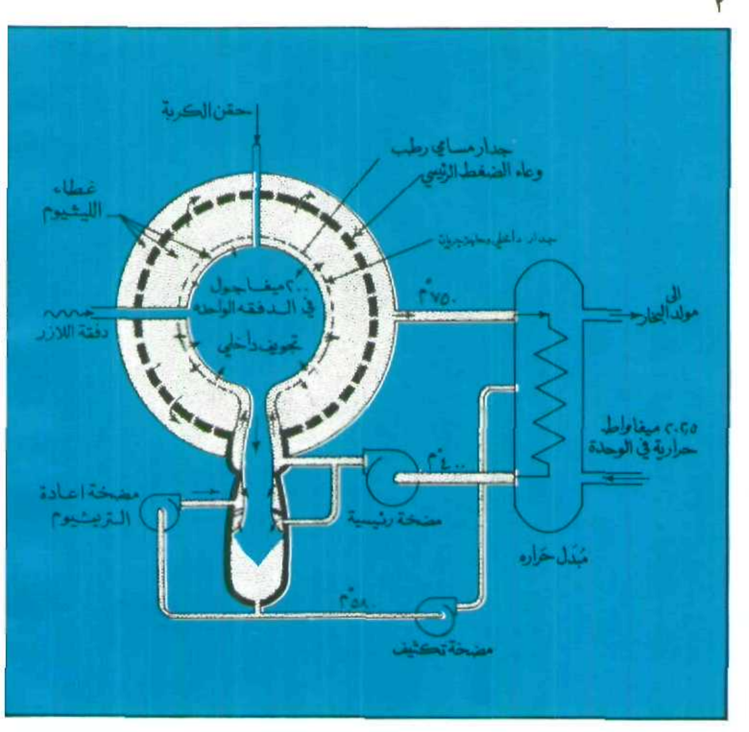


صر الكرية حتى تصبح نقطة تكاد لا ترى فيسخن جراء ذلك القلب الهيدروجيني وينتج عن ذلك تام النويات وانفجار طاحن .

يجري اختيار كريات لازر الصالحة لعمليات الالتحام النووي بمقياس التداخل الضوئي – Interferometer والمجهر الدقيق

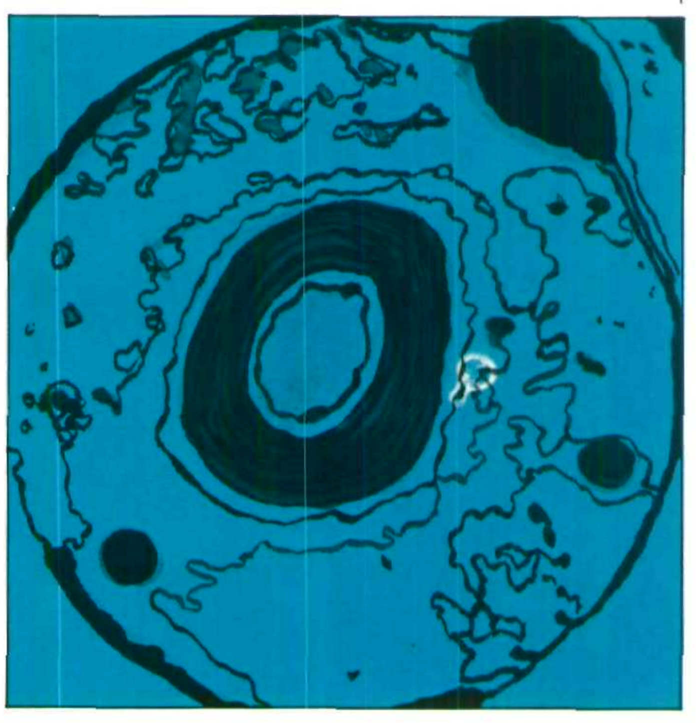
النووي في الشمس ، والكميات الهائلة من الطاقة التي تنشأ عنها ، دون حدوث انفجارات خطرة . فهم يرون انه اذا اصبح في مقدورهم تهيئة ظروف لإحداث التحام نووي على نطاق ضيق شبيه بالالتحام النووي الذي يحدث في الشمس، فانه يغدو من السهل عليهم التحكم في الانفجار الفوري الناجم عن عملية الالتحام النووي ، علماً بأن كثيراً من الظواهر المحيطة بالتفاعلات الالتحامية التي تتم في الشمس أصبح معروفاً لدى علماء الفيزياء ، من خلال الأجهزة العلمية التي كانوا يرسلونها في المركبات الفضائية ، والتي كانت تنقل اليهم معلومات ضافية عما يحدث في الأتون الشمسي . اضف الى ذلك اجهزة الارصاد الشمسية المنتشرة على سطح الارض التي تزود العلماء بقدر وفير من المعلومات المتعلقة بطبيعة التدمير البطيء المستمر لمادة الشمس عن طريق التحام ذرات الهيدروجين في ذرات الهيليوم والذي ينشأ عنه طوفان جارف من الطاقة . وهي عملية قريبة الشبه بالتفاعل الانفجاري الذي يتم في القنبلة الهيدروجينية ، فيما عدا ان تريليونات الأميال المكعبة من الغاز المطاط الذي يحيط بجوف الشمس تلطف منه وتحتويه ، تماماً كما يحدث في محرك السيارة المكبسي التقليدي الذي تنشأ فيه الطاقة الحركية عن طريق سلسلة من الانفجارات الصغيرة السريعة . وعليه فان الفيزيائيين يأملون في أن يجدوا في أشعة لازر النبضية – Pulsed Lasers ضالتهم المنشودة ، لأن اشـعة لازر تبعث الطاقة على شكل انفجارات ضوئية سريعة تحدث على فترات متقطعة . ولا يشترط ان تكون الطاقة في كل نبضة لازر – Laser Pulse عالية ، بل تكون من القوة في مفاعل الالتحام النووي بحيث تصل الى نحو العشر من الكيلوواط ساعة من الطاقة في كل ومضة ، ثم توجه نحو «الكرية – Pellet» المملوءة بالهيدروجين والتي لا يزيد حجمها على حجم رأس الدبوس فتصلها في أقل من جزء من البليون جزء من الثانية . وبذلك تكون تلك الكرية اشبه ما تكون بشمس مصغرة – Miniature Sun . ولكي يتحقق للعلماء مرامهم من أشعة لازر ، فانهم يجدون انه من الضرورة تشتيت الحزمة الضوئية لأشعة لازر وتقسيمها الى عدد من الأشعة باستخدام المرايا ، ثم تسليطها على سطح الكرية من جميع الجهات ليسخن بالتساوي . ونتيجة لذلك فان الغلاف الخارجي للكرية يتبخر فوراً مولداً غازاً متدفقاً يولد رد فعل عكسياً ، كما هي الحال في الصاروخ ، وهذا الغاز يهصر الكرية بضغط يشتد بتسارع عظيم باتجاهه نحو قلب الكرية . هذا الضغط المتجه نحو داخل الكرية هو ما يدعى بالانفجار

٢



حقن الكرية
جدار مسامي رطب
وعاء الضغط الرئيسي
غطاء الليثيوم
ميغاجول في الدفقة الواحدة
دفقة اللازر
تجويف داخلي
٧٥٠°م
الى مولد البخار
ميغاواط حرارية في الوحدة
٤٠٠°م
مضخة اعادة التريثيوم
مضخة رئيسية
مُبَدِّل حراره
٥٨٠°م
مضخة تكثيف

١



٤

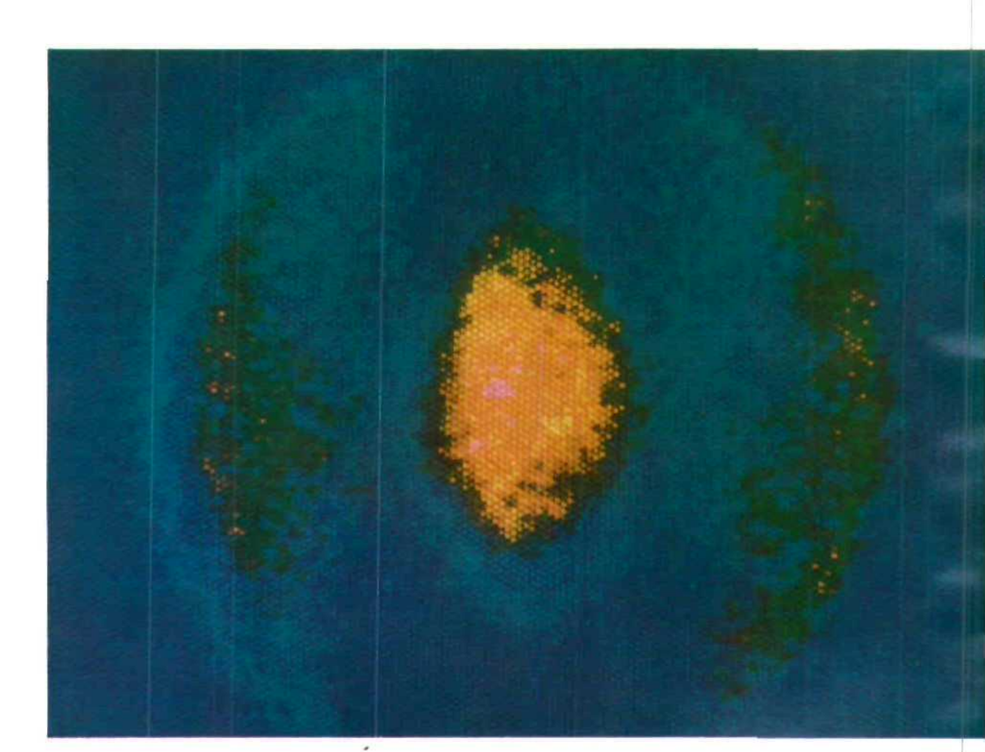
١ – يبدو تحرير الطاقة واضحاً على السطح الخارجي لهذه الكرية بعد تعرضها لعملية التحام نووي بأشعة لا زر وقد جرى التقاط هذه الصورة بأشعة اكس.

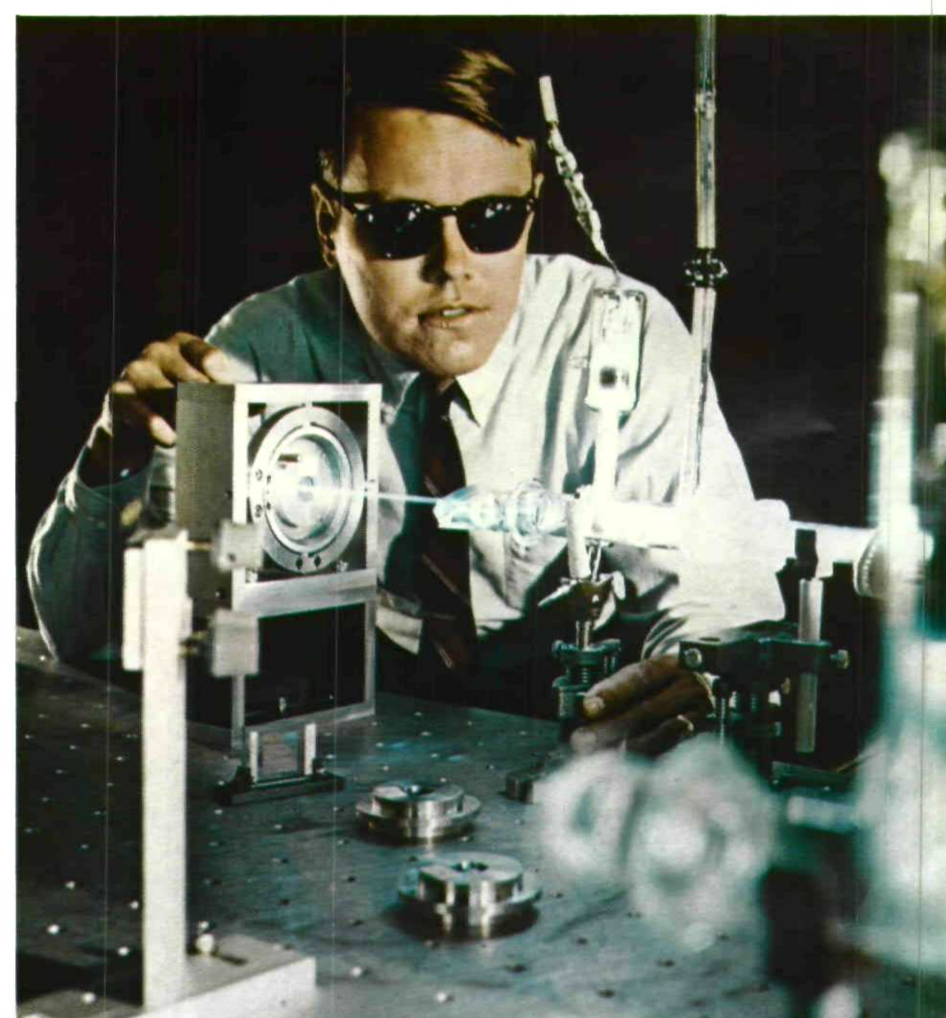
٢ – مفاعل التحام نووي باشعة لا زر جرى تصميمه في مختبرات لوس الاموس الامريكية ضمن سلسلة التجارب المستمرة في ميدان أشعة لازر .

٣ – تجربة التحام نووي بأشعة لازر سجلها الحاسب الالكتروني بالأشعة السينية المنبعثة عنها من جراء الانفجار الداخلي لكريات لازر .

٤ – عالم في مختبر الابحاث التابع لشركة « جنرال الكتريك » يقوم باجراء تجارب تتعلق بتوليد تيار كهربائي بواسطة أشعة لازر .

٥ – في مختبر لورنس ليفرمور – Lawrence Livermore Laboratory الأمريكي يجري تطوير اللازر لاستخدامه في عمليات انتاج الطاقة . ويبدو هنا احد القائمين على التجارب يفتح جهاز تضخيم الموجات الضوئية الذي يحتوي على اقراص بيضاوية الشكل مصنوعة من اجود انواع الزجاج المعالج بذرات عنصر النيوديميوم .

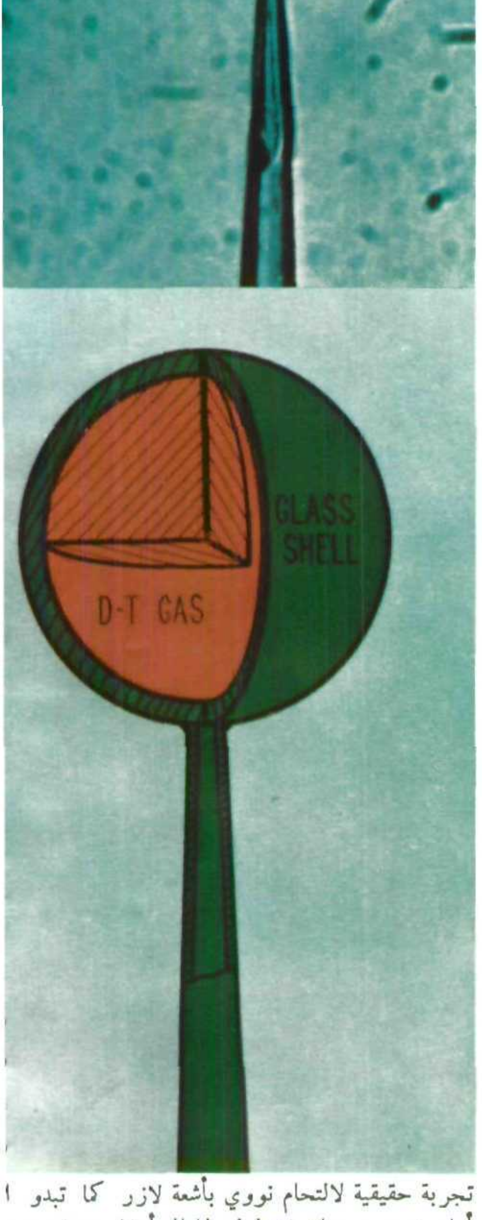




الداخلي – Implosion . وتزداد طاقة هذا الانفجار في مسارها نحو المركز . وفي الوقت الذي تصل فيه الى المركز ، يصبح ضغطها كبيراً بحيث يزيد مائة بليون ضعف على الضغط الجوي على سطح الارض . ونتيجة لهذا الضغط الهائل تنهصر الكرية ويصغر حجمها آلاف المرات عن حجمها الاصلي حتى تغدو مجرد نقطة تكاد لا ترى حتى بالمهجر . والمعروف ان أية مادة عندما تنضغط تسخن ، وفي هذه الحالة فان حرارة الانضغاط تصل حداً يتم عنده التفاعل الالتحامي المنشود ، فتنبعث طاقة تبلغ من الناحية النظرية البحتة نحو خمسين ضعفا من الطاقة التي تولدها اشعة لازر . فاذا اعيد مثل هذا التفاعل الالتحامي مائة مرة في غرف مفرغة قطر الواحدة منها عشر اقدام ، نستطيع الحصول على محطة للطاقة الكهربائية تبلغ قوتها الف ميغاواط . ولكي يمكن التحكم في الطاقة التي يحملها فيض من النيوترونات السريعة الحركة الناجمة عن الالتحام النووي ، يرى العلماء انه لا بد من تغليف السطح الخارجي لغرفة الانفجار الالتحامي بمعدن سائل كالليثيوم – Lithium الذي يمتص الطاقة من النيوترونات ويحولها الى حرارة . كما يرى العلماء انه من الضرورة بمكان تغليف السطح الداخلي من غرفة الالتحام النووي



مهندسان في حقل العلوم الالكترونية يقومان بتشغيل جهاز لازر للمسح بالبقعة الضوئية المتحركة ، وذلك لفحص نبيطات شبه موصلة – Semi Conductor Devices



تجربة حقيقية لالتحام نووي بأشعة لازر كما تبدو أعلى ، ورسم بياني تخطيطي لها الى أسفل حيث يحص غاز الديوتيريوم والتريشيوم داخل غلاف زجاجي توجه اليه أشعة لازر الجبارة لإحداث الانفجار النووي

بغشاء رقيق من سائل معدني ، لأن نوى الهيليوم والتريشيوم تخزن طاقتها على السطح الداخلي لغرفة الانفجار – Explosion Chamber ، ومن ثم يصبح بالامكان تحويل الحرارة التي تتجمع في غطاء الليثيوم – Lithium Blanket الى بخار يتولى بدوره توليد الطاقة الكهربائية . هذا على الصعيد النظري البحت كما يقول العلماء ، بيد ان الناحية التطبيقية تبقى رهن التطور السريع في تكنولوجيا صناعة اللازر النبضي القوي الذي يحبذ العلماء استخدامه في مفاعل الالتحام النووي الآنف الذكر لانتاج الطاقة .

ان أقوى لازر نبضي جرى تصنيعه حتى الآن تقل طاقته خمسين ضعفاً عن اللازر النبضي الذي تتطلبه عملية الالتحام النووي . أما المشكلة الاخرى التي يواجهها العلماء في هذا السبيل فهي المرايا التي تستخدم في تسليط أشعة لازر الجبارة على الكريات ، فهذه تحتاج الى دقة تكنولوجية بالغة . ويشعر العلماء ان « الاجهزة البصرية – Optical Systems » لم تصل الى المستوى الذي يمكنها من تحمل اشعة لازر الخارقة وعمليات الالتحام النووي الذي يتطلع اليه العلماء لانتاج الطاقة .

وهناك مشكلة أخرى تواجه العلماء وهي الكريات ذاتها ، فهذه ليست على قدر من الكثافة تمكنها من تحويل طاقة اللازر بفعالية جيدة الى «موجة ضغط انفجار داخلي– Implosion Pressure Wave » .

فالكرية تتفتت قبل ان يرتفع الضغط الى الحد الذي يبدأ معه الالتحام النووي . ولذا يرى بعضهم صنع كريات مؤلفة من اغلفة متعددة تساعدها على البقاء متماسكة حينما يبدأ الضغط بالارتفاع . ويستعين العلماء بالكمبيوتر في تصميم الكرية ومتابعة مراحل عملية الالتحام النووي رياضياً .

هذه المشكلات والتحديات الصعبة التي تعترض سبيل الفيزيائيين والباحثين ، هي الآن ميدان دراسات موسعة وابحاث مكثفة ، يأمل العلماء في تذليلها والتغلب عليها ، وحينما يتم التوصل الى صنع كرية تحرر من الطاقة اضعاف ما تتطلبه منها ، عندها ستدخل الانسانية في عصر جديد هو عصر اللازر ●

سليمان نصر الله – هيئة التحرير



كرية الديوتيريوم – التريشيوم البالغة الصغر وهي مستقرة على رأس دبوس ، وتستخدم في تجارب الالتحام النووي حيث يجري تفجيرها بتعريضها لأشعة لازر التي تبلغ قوتها ٠٠٠ ١٠ جول .

دستور الأخلاق في

تأليف: الدكتور محمد عبدالله دراز • تعريب وتحقيق: الدكتور عبدالصبور شاهين

إن الهدف الرئيسي من هذا الكتاب هو ابراز الطابع العام للاخلاق التي تستمد من كتاب الله الحكيم ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية .

انه بحث في النص القرآني عن سمات الواجب وعن طبيعة السلطة التي ينبعث عنها الالزام او التكليف وعن درجة المسئولية الانسانية وشروطها وعن طبيعة الجهد المطلوب للعمل الاخلاقي والمبدأ الاسمى الذي يجب ان يحفز « الارادة » للعمل .

ان « الواجب » يقوم على فكرة القيمة التي نستمدها من مثل أعلى ان العقل والوحي مظهران لتلك الحقيقة الاساسية التي تعتبر المصدر الحقيقي للالزام الخلقي .

ان الالزام الخلقي يستبعد « الخضوع » المطلق ، ويضع الانسان في موضعه الحقيقي بين المادة الصرف والروح الصرف .

هذه وغيرها كثير ، أمثلة للقضايا الهامة التي يعالجها هذا الكتاب القيم الذي يغطي النظرية الخلقية في الاسلام ، والتي هي بمثابة الاساس للنظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها .

وقد استغرقت كتابة هذه الرسالة بالفرنسية ما يقرب من ست سنوات حيث شرع فيها المرحوم الدكتور محمد عبدالله دراز في عام ١٩٤١ بعد ان انتهت حملة فرنسا ، وتمت مناقشة الرسالة للحصول على الدكتوراة أمام لجنة مكونة من خمسة من اساتذة « السوربون » و « الكوليج دي فرانس » في ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ .

وظل جمهور المثقفين من العرب والمسلمين يسمعون عن هذا العمل القيم دون ان يستطيعوا قراءته والاستفادة منه ، حيث قام الأزهر بنشرها بالفرنسية في عام ١٩٥٠ ، وقام الدكتور عبدالصبور شاهين بترجمتها الى العربية طوال ثلاثة أعوام لترجمة النص الفرنسي الى العربية آخذاً على عاتقه كتابة الآيات الكريمة كاملة وادماجها في النص نفسه بالاضافة الى الرجوع الى كتب الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام لتوثيق بعض النصوص التي لخصها المؤلف بالفرنسية . وها نحن نقدم عرضاً سريعاً للافكار الرئيسية التي تضمنها هذا الكتاب :

يعبر المؤلف لنا دون مواربة عن شعوره بأنه كان يضع قدميه لاول مرة على ارض لم تطأها قدم من قبل ، لكن وعورة المسالك التي عزم – بمشيئة الله – على الخوض فيها كانت حافزاً على تحدي الصعاب في سبيل خدمة دين الله الحنيف .

والمؤلف لا ينكر ان عدداً من فقهاء المسلمين قد بحثوا في مقاييس الخير والشر ، وان عدداً من رجال الشرع قد تكلموا في شروط المسئولية ، وان بعض الاخلاقيين قد ناقشوا جدوى « الجهد الانساني » ، ودورة « النية الطيبة » غير ان مثل هذه الجهود ظلت مبعثرة في بطون الكتب التي لم تقتصر على معالجة الاخلاق بل غلبت عليها آراء اخرى في الفقه والشريعة وعلوم الدين واللغة ، كما ان النظرية التي اراد هؤلاء المفكرون ان يبرزوها كانت تعتمد إلى حد كبير على الرأي الشخصي ، أو كانت تعبر عن اتجاه المدرسة الفكرية التي ينتمي اليها صاحب النظرية . ولم تكن الاستعانة بالآيات القرآنية الا من قبيل الاستشهاد في تأييد المبدأ او ذاك .

أما الدكتور دراز فقد وضع نفسه منذ اللحظة الاولى على أرض الاخلاق وأخذ يعالج المسائل الاخلاقية الواحدة تلو الأخرى ، بحسب المفاهيم والمعايير التي تعالج بهاعند علماء الاخلاق المحدثين .

ومن ناحية اخرى نجده يعنى بمناقشة الحلول التي جاء بها بعض المفكرين في الشرق او الغرب متخذاً من آرائهم ومبادئهم وسيلة للمقارنة والمؤلف أثناء ذلك كله يجعل من القرآن الكريم دائماً نقطة ارتكازه ، ويعتمد في استخلاصه للاجابة الشافية على المسائل المشروحة اعتماداً مباشراً على النصوص القرآنية .

وهنا في الحقيقة يكمن وجه الصعوبة . اذ ان القرآن الكريم ، كما نعرف ، ليس كتاب فلسفة اذا كنا نقصد بالفلسفة مجموعة من الأفكار النابعة من العقل وتتسلسل وفق منهج معين ، ويكون الغرض منها نسق من المبادىء لتفسير طائفة من ظواهر الطبيعة او الكون ، اذا كنا لا نستطيع ان نجد في القرآن هذا النسق لأول وهلة ، الا توجد مع ذلك وسيلة لجمع العناصر والمواد الاولية اللازمة لبنائه ؟

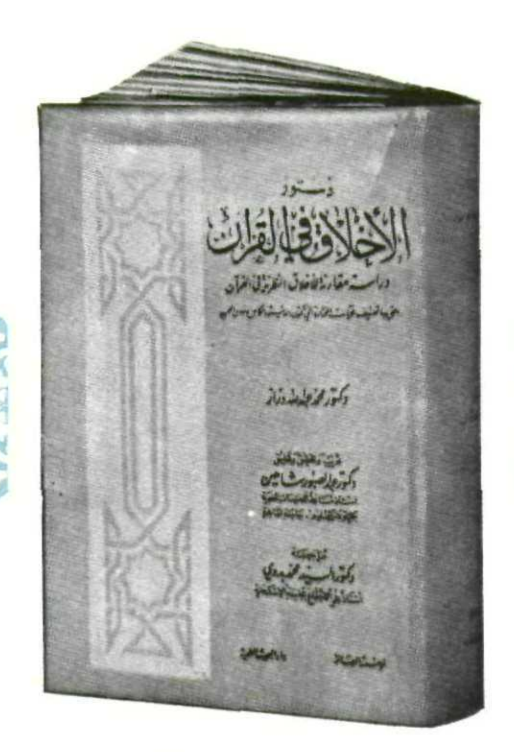
ولقد سأل المؤلف نفسه هذا السؤال بالنسبة « للمشكلة الاخلاقية » ووجد له من خلال بحثه هذا ، السجل الايجابي .

فبعد ان نحى جانباً الاحكام الاخلاقبة الخاصة ، أخذ يتأمل في النص القرآني الكريم باحثاً عن سمات « الواجب » وعن طبيعة « السلطة » التي ينبعث عنها « الالزام » او التكليف ، وعن درجة « المسئولية » الانسانية وشروطها ، وعن طبيعة « الجهد » المطلوب للعمل الاخلاقي والمبدأ الاسمى الذي يجب ان يحفز « الارادة » للعمل .

القرآن الكريم



عرض وتقديم : الأستاذ عبد الرحمن بدوي



في كل من هذه المسائل استطاع المؤلف ان يستخلص عدداً من الصيغ العامة التي تحدد رأي القرآن وتوفي الناحية النظرية ، وكان هدفه الاجابة عن هذا السؤال الجوهري : كيف يصور القرآن عناصر الحياة الاخلاقية ؟ وعندما يحتدم النزاع بين المدارس الفكرية ، وكان الاحتكام في جميع الحالات الى نصوص الكتاب المنزل للاهتداء بها في الاخذ برأي معين دون سواه . وقد قسم المؤلف الكتاب الى قسمين وجعل كلا منهما في خمسة فصول .

وتهيمن على الكتاب من أوله الى آخره فكرة رئيسية وهي ان الحاسة الخلقية انبعاث داخلي فطري وان القانون الاخلاقي قد طبع في النفس الانسانية منذ نشأتها مصداقاً لقوله تعالى « **فألهمها فجورها وتقواها** » .

والواقع ان الانسان العادي يستطيع ان يميز الى حد ما وفي كل ما يقوم به من أنواع السلوك بين ما هو « خير » وما هو « شر » ، وبين ما هو « محايد » لا ينفع ولا يضر وذلك مثلما يميز في عالم المحسوس بين « الجميل » و « القبيح » و « المجرد » من كل تعبير .

ولا يقتصر الأمر فقط على « المعرفة » بل ان مظهر الفعل الحسن او القبيح يثير في النفس البشرية مشاعر مختلفة يترتب عليها مدح بعض انواع السلوك وذم بعضها الآخر .

غير ان هذا القانون الاخلاقي المطبوع فينا يعتبر ناقصاً وغير كاف ليس فقط لأن العادة والوراثة وأثر البيئة والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية وتلقي انواعاً من الظلال على نور بصيرتنا الفطرية وليس فقط لأن شواغل الحياة في الدنيا تستوعب الجزء الأكبر من نشاطنا الواعي ، بل ان ممارسة الاخلاق في أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية وهي ان الضمير اذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها وجد نفسه عاجزاً في غالب الاحيان عن ان يقدم في جميع الظروف « قاعدة » ذات طابع عام تستأثر باعتراف الجميع ، فاذا تجاوزنا حداً معيناً نجد ان القانون الاخلاقي قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات .

ولعل هذا هو السبب الذي من أجله بعث الله في الناس رسلا من حين الى آخر ، نفوساً متميزة ملهمة بالوحي الربّاني ، لاستيقاظ الضمائر وازالة الغشاوة عن النور الفطري الذي اودعه الله فينا وذلك للعمل على حصر الاختلافات بين الناس في أضيق نطاق ممكن وخاصة بالنسبة لتقدير الحكم الاخلاقي . وهكذا يجد النور الفطري ما يكمله من وحي النور الالهي « نور على نور » .

ننتقل الآن الى فكرة رئيسية ركز عليها المؤلف وأبرزها بكل وضوح في ثنايا مؤلفه وهي : انه لا مكان للاخلاق بدون عقيدة ، والعقيدة هنا تتصل بالاخلاق ذاتها ومعناها الايجابي بالحقيقة الاخلاقية . فالحقيقة قائمة بذاتها ، تسمو على الفرد ، وتفرض نفسها عليه بغض النظر عن أهوائه ومصالحه ورغباته .

واستقلال القاعدة الاخلاقية بالنسبة للفرد ، قد يجعل من الحياة الاخلاقية خضوعاً ، غير ان الخضوع المطلق يعتبر نفياً « للحرية » وهو تبعاً لذلك نفي للأخلاق ذاتها .

وتعتبر هذه احدى النقاط الشائكة التي تعرض لها المؤلف بالتحليل حول موضوع «الالزام الحقيقي» ، وهو يؤكد انه لا عذر لنا في القول بان ذلك الخضوع « شعوري » و « مقبول » منا بحرية تامة .

والالزام الخلقي يستبعد « الخضوع المطلق » مثلما يستبعد « الحرية الفوضوية » ويضع الانسان في موضعه الحقيقي بين « المادة » الصرف « والروح » الصرف .

وتحدث المؤلف عن فكرة « المسئولية » فشرح جوانبها الاخلاقية والدينية والاجتماعية ، ثم اخذ يدرس بالتفصيل المظهر الاخلاقي لفكرة المسئولية . وقد عني المؤلف بتأكيد فكرة رئيسية تعتبر محور البحث في هذا الموضوع وهي ان المسئولية كما أقرها القرآن الكريم تتعلق « بالشخصية الانسانية » في معناها الكامل . فالمسئول حسب الشريعة القرآنية هو الشخص البالغ العاقل الواعي لقواعد الدين ، وهو مسئول عن أفعاله الخاصة الشعورية والارادية والتي عقد النية على القيام بها . فليس هناك مجال اذن لتحويل فضل العمل او جزائه من انسان الى آخر . وليست هناك مسئولية وراثية أو جماعية ، بمعنى ان الجماعة لا يمكن ان تكون مسئولة عن أفعال اقترفها عضو من اعضائها دون ان تشارك في هذه الأفعال بطريقة ما من الطرق .



وفي مكان آخر يتحدث المؤلف عن « الجزاء » الذي يترتب عليه الضرورة على الالزام ، والمسئولية مبدأ الجزاء . فالقانون الاخلاقي الذي يلزمنا ويضعنا أمام مسؤوليتنا يجب أن ينطوي في الوقت نفسه على نظام لتقدير مواقفنا . واذا كان بعض الحكماء قد انكروا وجود « جزاء اخلاقي » بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، فان وجود هذا الجزاء بالفعل يدحض هذا الرأي ، ويزودنا القرآن الكريم بنوعين من هذا الجزاء : الجزاء ذو الطابع « الاصلاحي » ومعناه ان الانسان الذي يسلك سلوكاً سيئاً يتحتم عليه اصلاح ما ترتب على هذا السلوك من فساد او اهدار لحقوق الآخرين . واهمال الواجب يقابله القانون بفرض واجب آخـــر هو واجب « التعويض » .

ثم كيف لا نثير الشعور بتأنيب الضمير ، وهو شعور داخلي يفتح امامنا الطريق لاصلاح انفسنا واصلاح اخطائنا ؟

غير ان هذا الشعور وحده لا يكفي لاعادة النظام بل لا بد ان يدعمه موقف جديد من مواقف الارادة ، وهو موقف يفترض بذل الجهد . هذا الموقف بالتحديد هو موقف « التوبة » وهو في طبيعته يشمل الماضي والحاضر والمستقبل ، اذ تقضي التوبة ايقاف السلوك السيء والعزم على عدم العودة اليه ، والاستمساك من جديد بالواجب المهمل ، واصلاح الاخطاء المقترفة ، واتخاذ طريق جديد للسلوك . هذا التحول الاخلاقي تفرضه علينا الاخلاق كوسيلة اصلاحية .

ثم الجزاء ذو الطابع « الاستحقاقي » وهو رد فعل للقانون الاخلاقي يمارسه مباشرة وتلقائياً . ولا يسع الانسان الا ان يتحمله رضي ام أبى ، فبحسب موقف « الخاضع » او « المتمرد » بالنسبة لما يمليه علينا الواجب ، نجد ان ملكاتنا العليا تتأثر سمواً او انحطاطاً ولا يعني ذلك فحسب ان ممارسة الخير تصفي القلب وتشحذ الارادة وتقوي العزيمة بل ان صداها ينعكس ايضاً على الملكة الذهنية نفسها .

وفي الفصل الرابع يعالج المؤلف الموضوع «النية والبواعث»، فإلى جانب اختيار الموضوع المباشر للعمل ، هناك اختيار الهدف البعيد . وفي حسن اختيار هذا الهدف تكون النية الطيبة بمعناها الاخلاقي الصرف .

ما هو المبدأ الاسمى الذي يضعه القرآن الكريم كشرط للحكم على قيمة اعمالنا ؟ انه « التنزه المطلق » بحيث يكون الهدف الوحيد للعمل هو ابتغاء وجه الله ، اننا لا نجد فيه تعبيراً يقترح لنشاطنا غايات نفعية حتى ولو كانت مشروعة . فالتصرفات الحكيمة اذا كانت غايتها الذات والاخلاص للآخرين ليست الا اضافات لا تقوم بذاتها وانما بالاستناد الى المبدأ الاول وهو العمل من اجل ارضاء الله .

وفي الفصل الخامس تناول المؤلف العلاقة بين الجهد والانبعاث التلقائي من ناحية ، وبين الجهد والروح والتيسير من ناحية اخرى . ووضح ان القرآن الكريم قد وازن بين كل من الطرفين المتعارضين ودمج بينهما في تركيب يجمع بين الكمال والحكمة وناقش فكرة المتشددين الذين يرفضون التلقائية في الفعل الاخلاقي ، ولا يمنحون السلوك اية قيمة الا اذا كان نتيجة لجهد او معاناة ، فاذا صح ما يدعي هؤلاء به فان النفس المتحررة من شهواتها لا تكتسب ثواباً على ما تقوم به من افعال خيرة ولا تستحق هذا الثواب الا اذا كانت فريسة لانفعالات متسلطة عليها وتكافح من أجل التغلب عليها .

أما فيما يتعلق بالقسم الثاني من الكتاب ، وهو الخاص بالاخلاق العملية ، فقد اختار المؤلف طريقة للعرض تختلف عن طريقة « الغزالي » ومن حذا حذوه من المصنفين لآيات القرآن الكريم ، فبدلاً من ان يجمع جميع الآيات التي لها صلة بالسلوك الانساني اكتفى بذكر عدد من الآيات التي تشرح بوضوح كل قاعدة من قواعد السلوك . وتحاشى التكرار على قدر الامكان وبدلاً من التقيد بتسلسل السور او التسلسل الابجدي للمبادىء الاخلاقية جمع النصوص القرآنية كل طائفة في فصل خاص بحسب نوع العلاقات التي تنظمها كل قاعدة من قواعد الاخلاق . فينطوي العمل الاول الخاص بالاخلاق الفردية على الآيات المتصلة بالتعاليم الخلقية للفرد ، والجهد الاخلاقي وصفاء الروح والاستقامة والعفة ، والسيطرة على الشهوات ، وكبت الغضب والاخلاص والوداعة والتواضع ، والتحفظ في اصدار الاحكام ، والاقتداء بالمثل الطيب .

وفي ضوء هذا العرض السريع لفصول الكتاب ، نجزم بان المسلم يجد في القرآن الكريم كل ما يشبع حاجته في مجال الاخلاق سواء من الناحية النظرية او العملية ، بل ان الانسانية كلها على مر العصور والأجيال وعلى ما قد ينتابها من تغيرات عميقة في الوجود سوف تجد دائماً في القرآن الكريم قاعدة تنظم نشاطها الاخلاقي ، ووسيلة تحفز جهودها ومثالاً أعلى تهتدي به ●

عبدالرحمن بدوي — القاهرة

قصة قصيرة

المسافر

بقلم : الأستاذ حسن حسن سليمان

لم تكن هذه هي المرة الاولى التي تضطره فيها ظروف عمله الى السفر ، فقد كان بحكم عمله كثير السفرات دائم التجوال ، ولكنه احس في هذه المرة بشعور لم يسبق له ان أحس به من قبل في أي من سفراته الكثيرة السابقة ، شعور بالكآبة والانقباض يخالطه الخوف والتوجس ، خوف غامض لا يدري مبعثه وتوجس مبهم لا يعرف كنهه .

كان يوماً قائظاً من ايام الصيف ، الجو مكفهر والريح سموم ، تزيد الصدر ضيقاً والنفس انقباضاً . وخامره احساس بعدم الرغبة في السفر ، وألحّ عليه هذا الاحساس حتى كاد يستجيب اليه . ولكن بم يعلل عدم سفره وقد اعد له عدته . واستجمع قواه ونهض من فراشه في غير رغبة منه ، غسل وجهه في تثاقل ظاهر ثم ارتدى ملابسه في بطء شديد ينم عما يعانيه من ضيق وما يلفه من كآبة ، وجلس مع زوجته واولاده الذين تحلقوا حول مائدة الافطار ، وجعل يرتشف كوب الشاي دون ان يجد له في فمه طعماً ، كأنه الدواء المر يتجرعه ولا يكاد يستسيغه . وكانت عيناه اثناء ذلك تدوران وتتنقلان في صمت بين وجوه اولاده واحداً واحداً يتفحصها ويتفرس فيها ، دون ان يمل النظر اليها كأنه يودعها ويلقي عليها النظرة الأخيرة . وأفزعه هذا الخاطر كثيراً فطرده من مجال تفكيره بابتسامة باهتة انتزعها من قلبه انتزاعاً ورسمها على شفتيه رسماً .

ومرت لحظات من الصمت بطيئة وثقيلة فانتزع نفسه منها بعد وداع قصير انفلت بعده من عيون زوجته وأولاده الى خارج البيت ، لأنه خشي ان تنهار مقاومته وتخذله مشاعره فتفصح عما يعتمل في دخيلة نفسه من مخاوف. وفي طريقه الى الباب حرص على ان لا يلتفت الى الوراء حتى لا يستسلم لنظرات العيون التي انفصل عنها والتي كانت ما تزال ترقبه وتمتليء منه وهو يخطو الى الشارع يتشبّث بدمعتين ساخنتين تترقرقان في عينيه .

وتوارى عن العيون في احد المنعطفات فعاد الجميع الى الداخل . وجلست « ام محمد » على اقرب كرسي وقد أسندت رأسها الى راحتها وجعلت تقلب بصرها في ارجاء البيت الذي عمّته الفوضى . ففراش الاولاد لم يرفع بعد ، وقد تناثر هنا وهناك . والمائدة ما زالت مكانها ، اكواب مبعثرة وصحون متناثرة ، كل ذلك وهي لا تحرك ساكناً ولا تجد في نفسها رغبة في القيام من مكانها لاصلاح شأن بيتها واعادة ترتيبه .

ولم يكد يستقر بها مقعدها حتى انفلتت دموعها وانهمرت على الرغم منها ، فقلبها من هذه السفرة خائف واجف ، وأحلام الليلة الماضية ما زالت ماثلة امامها ، ولا تستطيع التحرر من سيطرتها ، رأت في منامها انهم كانوا في سفر ، هي وزوجها واولادها الأربعة ، وفي الطريق انقلبت بهم سيارتهم فجأة ، كان وحده الذي أصيب ولم يصب احد سواه بأذى ، كان ملقى على الأرض مضرجاً بدمه بين الموت والحياة ، فهبت من نومها وهي تصرخ ودموعها تغسل وجهها . استعاذت بالله من الشيطان الرجيم ، وتلت في سرها شيئاً من القرآن الكريم ، ثم استسلمت للنوم من جديد لتستيقظ فزعة مذعورة فقد عاودها الحلم مرة اخرى ، وداخلها شعور عميق بأن شيئاً في الغيب غير سار سيحدث ، وان هذا الحلم الرهيب لا بد ان يكون له اساس من الحقيقة . طار النوم من حتى لا تفصحها مشـاعرها . كانـت عينيها فبقيت تتقلب في فراشها حتى الصباح . وعلى مائدة الافطار كانت تختلس اليه النظر بين الفينة والأخرى ، محاذرة ان تلتقي عيناها بعينيه تحترق من الداخل في صمت ، وكانت نفسها تذوب حسرات . هل يمكن ان تكون هذه النظرة هي الاخيرة ! ؟ هل يمكن ان تكون هذه اللحظات هي آخر عهدها به ؟ ! وكاد قلبها ينخلع وصوابها يطير لمجرد تصورها هذا الخاطر ، ولذلك سرعان ما لجأت الى الله تعالى تستغفره وتعوذ به من وسوسة الشيطان الرجيم . واحست بدوار زاغ معه بصرها وشعرت بالارض تميد تحت قدميها ، وصداع حاد عصف برأسها ، فاستجمعت قواها لتنتزع نفسها من هذه الدوامة التي تدور فيهب لتغرق في أعمال المنزل لتصرف تفكيرها بعيداً عن هذا الموضوع .

وصل محطة السيارات القى « ابو محمد » بنفسه على اقرب مقعد ، والى جانبه القى بحقيبته الصغيرة بلا اكتراث ، وجلس صامتاً كأنه يرتاد احد المقاهي . ودنا منه « دلاّل » من العاملين في مكتب السفريات بالمحطة يسأله عن الوجهة التي يقصدها وطلب منه جواز سفره لقيد اسمه في كشف المسافرين . نظر اليه « ابو محمد » بفتور ثم قال له بصوت لا يكاد يبين : اذا اجتمع لديك اربعة ركاب في السيارة فانا خامسهم . ثم اشاح بوجهه عنه معلناً بذلك ان لا مزيد لديه ليقوله ، فانصرف عنه الدلال وهو يزم شفتيه كأنما لم يعجبه ما سمع .

وتشاغل « ابو محمد » بمرأى المسافرين قادمين ومغادرين وبحركة السيارات في المحطة ذاهبة وآئبة ، وصوت « الدلال » على مقربة منه يتردد اجش مبحوحاً بين فترة واخرى بلا ملل ، كأنه مسجل على شريط ينطلق تلقائياً من حين الى حين .

« عندنا الآن راكبان ، جواز سفرك يا استاذ » قال الدلال ذلك وهو يمد يده لأخذ جواز السفر وبلا مبالاة قال له ابو محمد : قلت لك اذا صار الركاب أربعة فأنا خامسهم . ولم يجد الدلال بداً من الانصراف وهو يكاد يتميز من الغيظ بينما انصرف ابو محمد الى متابعة صخب الناس وجلبتهم وضجيج السيارات وضوضائها في المحطة .

« الركاب ثلاثة » قال الدلال ذلك وهو يمر من أمامه مسرعاً دون ان يلتفت اليه او يقف عنده كأنه قد عرف جوابه مسبقاً .

وانتصف النهار او كاد ، ولم يأت الراكب الرابع ، وتجاهل الدلال وجوده فكف عن مراجعته كأنه قد يئس منه ، وملّ « ابو محمد » الانتظار فهم بمغادرة المحطة والرجوع الى البيت . وفي أثناء ذلك حضر شابان الى مكتب السفريات وقد ظن لاول وهلة ان احدهما مسافر وأن الآخر قد جاء يودعه ، اذ لم يكن معهما سوى حقيبة واحدة ، فاستعد ليكون الراكب الخامس . وانطلق صوت الدلال الأجش المبحوح : يا خلف ! حرّك ! الركاب مستعدون ! وفي دقائق معدودات استقل الركاب السيارة وانطلقت بهم الى خارج المحطة تنهب الارض نهباً . وصاح « ابو محمد » بالدلال محتجاً : وانا ! ! ورد عليه الدلال معنفاً : وماذا عسى ان أصنع لك ! ؟ طلبت اليك اكثر من مرة ان تسجل اسمك فرفضت ، وهذان اخوان مسافران معاً ، ومن غير المعقول ان يسافر احدهما ويبقى الآخر من اجل ان تسافر انت ، ثم استطرد متهكماً : اذا صار لدينا اربعة ركاب آخرين فأنت خامسهم . ثم انصرف عنه ومضى لشأنه .

ولم يكن هناك من فائدة ترجى من بقائه في المحطة في هذا الحر اللافح من الظهيرة ، وموعد قيام السيارة الثانية غير معلوم ولا مؤكد ، ومن غير المتوقع ان تقوم قبل صلاة العصر حتى ولو كان الركاب مستعدين . فحمل حقيبته وعاد ادراجه الى بيته ، وكان في سره يسخر من نفسه فهو لا يستطيع ان يحدد تماماً ما اذا كان متشائماً او متفائلاً بهذه العودة ، واستقبلته زوجته بمشاعر مماثلة تتأرجح بين التفاؤل والتشاؤم دون ان تتخذ شكلاً محدداً .

تناول غداءه ثم استلقى على سريره مستسلماً لأغفاءة قصيرة صحا منها على حلم مشوش لم يستطع ان يتذكر تفاصيله او يربط اجزاءه بعضها الى بعض .

ولم يلبث ان حمل حقيبته متجهاً مرة اخرى الى المحطة في محاولة للخروج من دوامة التردد فطرح عنه جانباً كل هواجس التشاؤم وصمم هذه المرة ان يسجل اسمه في رأس قائمة المسافرين ، وعلى باب المنزل تشبّث به ابنه الصغير « خالد » — ذو السنتين — وامسك بالحقيبة بكلتا يديه وتعلق بها بكل قوته ، كأنه يخاف عليه ولا يريده ان يسافر . وأحس بوخزة في صدره ادمت قلبه . فهمّ بأن يلقي بالحقيبة جانباً ويعدل عن السفر ، ولكنه عاد واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قبّل صغيره قبلة اودعها كل ما في قلبه من الحب والحنان وكل ما في نفسه من الامل في ان يعود اليه ثانية بخير وسلامة ثم استأنف مسيره الى المحطة لا يلوي على شيء .

وتصادف ان وجد سيارة تهمّ بالتحرك فاستقلها فانطلقت تطوي الارض طياً في يسر وراحة . وكانت جديدة ، فزادت جدتها من ثقته بها واستمتاعه بركوبها ، فنسي ، او كاد ، كثيراً من مخاوفه ، وطابت نفسه ، وانشرح صدره . كانت رحلة هيّنة ليّنة خلت من المشاكل ولم يتعرضوا خلالها لاي شيء من المتاعب او المشاق ، فزايله ما كان يملأ نفسه من همّ وكرب .

وأمضى أسبوعاً أنهى خلاله جميع أعماله ، وقد نسي نفسه في غمرة انشغاله فلم يشعر بمرور الوقت ، وبدأ يستعد لرحلة العودة ، فأمضى سحابة اليوم الأخير يجول في الأسواق متنقلاً من دكان الى آخر يستعرض المعروضات ويختار من بينها الهدايا المناسبة لزوجته واولاده ، وحرص عند اختيار الهدايا لهم ان تكون هدية كل منهم معبّرة عن مدى محبته له ومبلغ شوقه اليه . وقد خص « خالداً » الصغير بالنصيب الأوفى من الهدايا ، فلم يبرح خياله لحظة واحدة منظره وقد تشبث به ساعه سفره وتعلق بالحقيبة بكل قوته كأنه يخاف عليه ولا يريده ان يسافر . وأحس بقلبه يرفرف شوقاً اليه .

الجو في هذا اليوم شديد الرطوبة والشمس تسطع بقوة منذرة بيوم قائظ لافح ، ومع ذلك فقد استيقظ منذ الصباح الباكر في غاية المرح والنشاط بعد ان نام ليلة هادئة على الرغم من تعبه الشديد نهار امس. كانت ليلة مليئة بالرؤى السعيدة . لم تبق الا ساعات قليلة وتنطلق السيارة به لتبدأ رحلة العودة .

وانطلقت السيارة بعد صلاة العصر مباشرة ، الجو لطيف ، فقد خفّت نسبة الرطوبة وبدأت نسمات البحر الباردة تداعب وجهه وشعره . أحس بفرحة غامرة وضاعف من نشوته الأنغام المنبعثة من « ستيريو » السيارة ، كان يحس بأن المطربين يغنون له وحده ، وكان قلبه يسابق السيارة يتعجل ساعة اللقاء الحبيب بعد هذا الغياب الطويل .

وسارت الرحلة على خير ما يرام كأنهم في سياحة ممتعة . امضوا في السير بقية النهار وشطراً كبيراً من الليل دون ان يحس بتعب او ارهاق او ملل ، ولم تصادفهم في الطريق عقبات او منغصات ، كان يستمتع بكل شيء : بالليل ، بالصحراء ، بالنسيم العليل ،حتى بالشاي الأسود القاتم الذي كان يشربه في المقاهي على الطريق بعد وجبات الطعام .

وعلى احدى محطات البنزين وقفوا يتزودون بما تحتاجه السيارة من الوقود ، وقد جاوزت الساعة الثانية عشر ليلاً . وحين همّوا بمواصلة رحلتهم اكتشفوا ان ثلاثاً من عجلات السيارة لم تعد صالحة للسير عليها ولا بد من اصلاحها وأنّى لهم ذلك في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ! والناس نيام والمحلات مغلقة . ووجدوا ان الاطارين الاحتياطيين في السيارة غير صالحين كذلك . لا بد اذن من قضاء بقية ليلتهم حيث هم حتى الصباح .

نام السائق والركاب الى جانب السيارة ، وبقي هو جالساً على الكرسي الأمامي فيها ، لم يكن يشعر بأية رغبة في النوم . كل شيء حوله يلفه بالصمت والسكون أمام جبروت الليل وسطوته ، والانتظار صعب ، والوقت يمر بطيئاً كالجيش الزاحف ، كان يستعجل الساعات والدقائق ويستحثها على المضي . وأشرقت الشمس بعد طول الانتظار والترقب ، ونشطت الحركة على الطريق . فأيقظ السائق والركاب ومضوا يلتمسون من يصلح لهم عجلات السيارة ، كان عليهم ان ينتظروا الى ما بعد التاسعة صباحاً ، فاليوم جمعة ، والناس قلما يخرجون الى اعمالهم في هذا اليوم مبكرين .



الساعة تجاوزت العاشرة ، والسيارة تستعد للانطلاق مستأنفة رحلتها ، بعد ان تم اصلاح عجلاتها . ومضوا على الطريق العريض الطويل يمتد أمامهم على مدى البصر . وأحس بثقل في رأسه من اثر السهر والاجهاد في الليلة الماضية ، وفي الوقت ذاته شعر بالارتياح لقرب نهاية الرحلة ، لم يبق امامه سوى مسير ساعات ثلاث ، أسند رأسه الى راحته واستند الى باب السيارة ، ولم يلبث النعاس ان تسلل الى جفنيه فأسلمه الى اغفاءة لم يشعر اثناءها بما حدث .

وأفاق من غيبوبة استمرت عشر ساعات ، ليجد نفسه على سرير في المستشفى ، وحوله زوجته وبعض الاقارب ، حاول النهوض فلم يستطع ، وهم بالحركة فلم تسعفه قواه وتحسس بيده جرحاً كبيراً في مقدمة رأسه ، وعرف المحيطين من به انه قد أصيب في حادث سيارة ، فقد انقلبت السيارة التي كان يستقلهاو قذفت به الى الأرض . وعرف فيما بعد انه قد أصيب بنزيف في رأسه ، وان الدم قد خرج من أذنيه الاثنتين ، وانه قد اسعف في الحال وجرى تعويض الدم الذي نزف .

ويوماً بعد يوم استطاع ان يتبين عمق الآثار التي تركها الحادث في جسمه ، رضوض في الصدر والكتف والظهر والساق تسبب له آلاماً مبرحة ، وكانت هذه الآلام تشل حركته تماماً . ومن صور الاشعة العديدة التي اخذت له ظهر انه مصاب بكسور ثلاثة في عظام قاعدة الجمجمة ، بالاضافة الى ما اصيب به من جراح متفرقة في أنحاء جسمه . وهاله بعد ذلك ان يكتشف ان وجهه مصاب ايضاً بالشلل التام فغدا كأنه قد قدّ من الصخر او صنع من الجبس ، وكأنما قد نضب منه ماء الحياة .

ومضت الفترة الحرجة بسلام ، وأعلن الاطباء انه قد اجتاز مرحلة الخطر تماماً بعد ان كانت حياته مهددة ، وان كانت تقاريرهم الاولية قد اشارت الى انه يحتاج الى اربعة اشهر من العلاج في المستشفى قبل ان يستطيع العودة الى البيت ، لأن كثيراً من الاعصاب الهامة تمر في منطقة الكسور في قاعدة الجمجمة .

وبدأت حالته تتحسن بأسرع مما توقع الاطباء ، فعادت الحياة الى عضلات وجهه تدريجياً ثم أخذت تعود الى طبيعتها يوماً بعد يوم .

ومضى عليه في المستشفى شهر كامل ، استمرت خلاله حالته في التحسن ، فاصبح يستطيع ان يتحرك ويتنقل في انحاء غرفته وان كان ذلك يتم بشيء من الصعوبة مع شيء غير قليل من الالم . وبدأ يحس بوحشة المستشفى وثقله كأنه مقام كله فوق صدره ، واشتد شوقه الى اولاده فقد طال غيابه عنهم ، كل شيء في المستشفى يذكره بأنه مريض ، وكان هذا الاحساس يؤرقه فلا يستطيع النوم ساعات طويلة .

وطلب من طبيبه ان يأذن له بمغادرة المستشفى الى البيت اذا لم تكن حالته تستدعي بقاءه في المستشفى لمدة أطول ، وأجابه الطبيب الى طلبه بشرط ان يواظب على استعمال الدواء في مواعيده المقررة وان يلتزم بكل التعليمات التي تقتضيها حالته الصحية .

المسافة من داخل المستشفى الى السيارة بصعوبة بالغة وألم شديد ، وانسابت به السيارة في هدوء شديد في طريق البيت ، كان كمن يرى الدنيا لاول مرة ، كأنه قادم من عالم آخر . وعلى باب البيت كان ولده الصغير « خالد » اول من لقيه . كان اخر من شيعه الى الباب يوم سافر ، وهو اليوم اول من استقبله عند الباب يوم عاد ، انحنى اليه غير مبال بما يسببه ذلك له من ألم وبما فيه على صحته من خطورة وراح يقبله بلهفة وشوق ويضمه الى صدره بكل قوة ودموعه تترقرق في عينيه ، كأنه يخشى ان تبعده عنه الايام من جديد .

وجلس بين اولاده وزوجته يقرأ الفرحة الطاغية في عيونهم من بين خيوط الالم البادية على وجوههم ، كانت فرحته بهم كبيرة ، وكانوا بعودته اليهم في ذروة السعادة فقد عاد اليهم من بين الأموات ، وكأنه ولد من جديد ●

حسن حسن سليمان — عرعر

مشاعل على الطريق

للشاعر: علي الفقي

.. وأجيل طرفي في الوجود فلا ارى فيه سواك
وبكل كائنة ارى سراً يبوح به سناك
وأراك في سمعي ، وفي بصري ، وفي قلبي اراك
تهب العطاء الى الوجود وتمطر النعمى يداك
تعطي وتمنع كيف شئت وأنت أحكم في علاك
ولك الوجود وما حواه فوق ارضك او سماك
لبيك .. ان الحمد لك
لبيك .. ان الملك لك
لبيك .. انت الواجد الموجود والملك الاجلّ
وبكل شيء في الوجود على وجودك استدلّ

° ° °

لبيك .. يا ملك الملوك ومن سواك له النبّي ؟
لبيك .. جئتك باسطاً كفيّ معترفاً بذنبي !
لبيك .. ران الليل في عيني وغاب الصبح عني
لبيك .. طال بي المسير ونالت الايام مني
ولزمت بابك ارسل الزفرات تسبقها دموعي
ووقفت عندك خاشعاً اطوي على ظمأ ضلوعي
فاقبل بعفوك توبتي
وأقل بفضلك عثرتي
لبيك .. انت الواجد الموجود والملك الاجلّ
وبكل شيء في الوجود على وجودك استدلّ

° ° °

أنا في الطريق اصارع الشيطان يا بعد الطريق
والنفس ان جنحت أهاب بها الضمير الا أفيقي
وأخاف من زلل الضمير اذا تنكّب عن طريقي
ورمى بي الشيطان يا رباه في واد سحيق
بك استعين على الطريق واستعيذ من الزّلل
انا في الطريق اليك يحدوني الى النور الامل
فاملأ بنورك وحدتي
وأزل بأنسك وحشتي
لبيك .. انت الواجد الموجود والملك الاجلّ
وبكل شيء في الوجود على وجودك استدلّ

مـــــا حيلـــتي يـــا رب ما حولـــي اذا زلّ الضمـــــير ؟؟!
ووقفت لا أدري الـــــى ايـــــن المسير ولا المصـــــير
ومحـــــا الرجـــــاء اليأس في قلـــبي وأعوزنـــي النصير
بـــــك استجـــير ومـــا يغـيرك في الشدائـــد استجـــير
بـــــك استجـــير وليس لـــــي الاك فـــي الدنيـــا مجـير
مـــــا حيلتي واليك أمري
يـــا عالمـــاً سرّي وجهري
لبيـــــك .. انـــت الواجـــد الموجـود والملـــك الأجـــلّ
وبكـــــل شيء فــــي الوجـــــود على وجـودك استـــدلّ

• • •

مـــــا حيلـــتي غـــير الدعـــاء بتوبة تحيي ضمـــيري
أنـــــا في رحــــــاب العفـــو ارجـــو العفـــو من رب غفــور
ارجــــــو وأطلـــب عفـــــوه واللـــــه يعفـــو عـــن كثير
ربـــــاه حكمـــك نافـــذ فينـــا وحكمـــك عـــادل
فالطـــف بعبـــدك فــــي القضـــاء فـــان لطفـــك شامـــل
انـــــت المجيـــب ولـــــن يـــرد بباب عفـــوك سائـــل
غفـــرانـــك اللهـم ربـــي
واغمـــــر بفيض رضـــاك قلبي
لبيـــك .. انت الواجـــد الموجـــود والملك الاجـــلّ
وبكـــــل شيء في الوجـــــود على وجـــودك استـــــدلّ

• • •

فلــــربّ عـــــاص سادر الخطـــوات فــــي ليـل الذنـوب
مـــــا مـــلّ مـــن طـول الطريق ولا تلمّس ان يـــؤوب
تـــــدري وتعلــــم مـــا يريـــد وأنت علاّم الغيـــوب
الهمتـــه الـــدرب القويـــم وما كدربك فـــي الـــدروب
وسترتـــه فــــي العالمـــين وانت ستـــار العيـــوب
آيـــات فضلك لا تعـــدّ
وبساط عفـــوك لا يحـد
لبيـــك .. انـــت الواجـــد الموجـود والملك الاجـــلّ
وبكـــــل شيء في الوجـــــود علـــى وجـودك استـــدلّ

علي الفقي ـ القاهرة

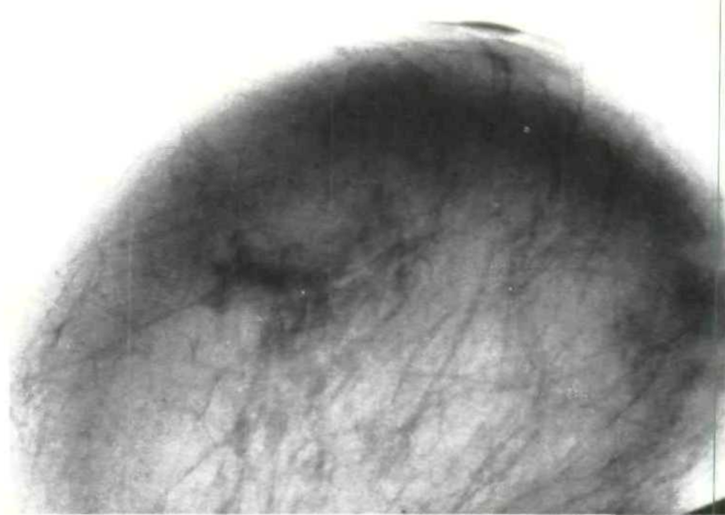
أورام الثدي

بقلم: الدكتور ابراهيم ناصر

يعتبر الثدي من أهم مظاهر الانوثة لدى المرأة ، ولذا فهي حريصة أشد الحرص على سلامة هذا العضو الحساس ، ولعل اورام الثدي هي أشد ما تخشاه المرأة من أمراض . ولكثرة ما كتب وقيل عن أورام الثدي في السنوات القليلة الماضية فقد اكتسب هذا المرض شهرة جعلته بحق عدو المرأة الاول واوجدت لديها عقدة الخوف من ورم الثدي . وقبل ان نخوض في موضوع اورام الثدي لا بد لنا من ان نعطي القارىء لمحة سريعة عن تكوين الثدي وعمله الفسيولوجي في الجسم .

الثدي هو عبارة عن غدّة عرقية متطورة على جانبي الصدر ويحيط بهذه الغدة طبقة سميكة من الشحم يغطيها الجلد . ولكل ثدي فتحة على سطح الجلد هي الحلمة . وتتفرع غدة الثدي الى ١٢ — ٢٠ من « القنوات — Ducts » تشبه عنقود العنب وتنتهي كلها بحلمة الثدي . ويشبه ثدي الرجل في تكوينه ثدي المرأة الى حد كبير غير ان كمية الشحم الموجودة حول غدة ثدي الرجل اقل منها في ثدي المرأة .





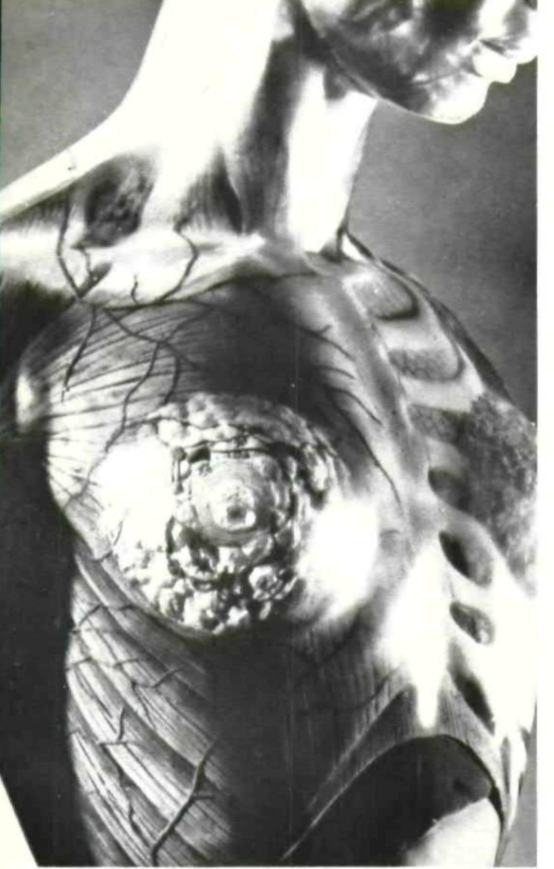

يبقى الثدي عضواً بدائياً مكوناً من مجموعة من القنوات منذ الولادة وحتى تصل الفتاة الى سن البلوغ حيث ينمو الثدي نمواً سريعاً وذلك بفعل مجموعة من الهورمونات اهمها الاستروجين والبروجسترون التي يفرزها المبيض وهورمونات « الغدة النخامية — Pituitary Gland » . ويخضع الثدي لتغيرات دورية تبعاً للدورة الشهرية — Menstrual Cycle . ففي فترة الحيض يقل حجم الثدي ثم يعود الى حجمه الطبيعي بعد بضعة أيام من انتهاء الحيض . ويتحكم في هذه التغيرات هورمونات الاستروجين والبروجسترون . وفي فترة الحمل يزداد حجم الغدة الثدية ويقل نسبياً حجم الدهن الذي يغلف هذه الغدة ، كما ينمو الثدي أثناء فترة الحمل نمواً مطرداً بفعل الهورمونات التي تفرزها « الخلاصة — Placenta » . وبعد الولادة تنشط عملية تكوين الحليب للرضاعة بفعل هورمون الــ — Prolactin الذي تفرزه الغدة النكفية . وبعد انقضاء الحيض يتعرض الثدي لتغيرات جذرية وذلك لغياب هورمونات ، الاستروجين والبروجسترون فيقل حجم الثدي بشكل ملحوظ . ويمكن القول ان الرضاعة هي الدور الرئيسي الذي تضطلع به الغدة الثدية ، هذا بالاضافة الى ما يضفيه على المرأة من جمال الانوثة . قبل ان نخوض في موضوعنا الرئيسي هنا الا وهو الاورام الخبيثة سنتعرض بايجاز الى بعض اورام الثدي البريئة .

اولاً : دمل الثدي — Breast Abscess: يظهر دمل الثدي احياناً على شــكل ورم ولكنه في الغالب يبدأ على شكل التهاب في الثدي يتكون على أثره دمل مليء بالصديد والمواد الدهنية التالفة . وتكثر دمامل الثدي لدى النساء في مرحلة الرضاعة . وهي تنشأ في الغالب عن تشقق الحلمة ودخول الجراثيم البكتيرية الى انسجة الثدي مسببة الالتهاب ومن ثم الدمامل .

وعلاج دمل الثدي لا يعد بمشكلة فالمضادات الحيوية — Antibiotics وفتق الدمل لاخراج ما فيه من الاوساخ كفيل بالقضاء على هذا المرض، ولا بد للمرأة من العناية التامة بنظافة حلمة الثدي أثناء الرضاعة وذلك بتنظيفها بالماء والصابون قبل الرضاعة وبعدها .

ثانياً : الاكياس الثدية — Fibrocystic Disease of the Breast ، وهــي أكثر أمراض الثدي انتشاراً بين النساء ، وتظهر هذه الأكياس في الثدي بفعل هورمونات الاستروجين على انسجة الثدي ولا سيما خلال الايام القلائل التي تسبق الحيض ، ويكثر هذا المرض عادة لدى النساء اللواتي تتراوح اعمارهن بين سن ٣٥ — ٤٥ سنة . ويعتبر الم الثدي اهم اعراض هذه الاكياس حيث يشتد الألم لمجرد لمس الثدي وخاصة قبل نزول الحيض . وفي الغالب يصيب هذا المرض الثديين معاً حيث يلاحظ وجود عدة اكياس في الثدي الواحد ويتغير حجمها بشكل ملحوظ أثناء الدورة الشهرية ، وكثيراً ما تختفي هذه الاكياس بعد انقطاع الدورة الشهرية في سن اليأس . وتكمن أهمية هذا المرض في صعوبة التفريق بين الكيس الليفي والورم الثديي الخبيث في بعض الحالات حيث من

٣



١ — طبيب جراح يخطط الاتجاه الذي سيسير عليه مشرطه خلال عملية جراحية لاستئصال الثدي المصاب بداء السرطان.

٢ — ثديان لامرأة كشفت الأشعة عن اصابة الثدي الأيمن بالسرطان وخلو الآخر منه .

٣ — مجسم لصدر امرأة يظهر مدى استفحال داء السرطان في احد الثديين .

الممكن وجود المرضين في الثدي الواحد . وفي الحالات التي يختلط فيها الأمر لا بد من استئصال الكيس للكشف عليه في المختبر والتيقن من عدم وجود الورم الخبيث .

ثالثاً : الليفة الثديية — Fibroadenoma

وهي ورم بريء يصيب الثدي ما بين سن ٢١ — ٢٥ سنة . ويعتقد بوجود علاقة وثيقة بين وجود هذا الورم وبين هورمون الاستروجين. فزيادة هذا الهورمون تسبب الورم . ويتميز هذا الورم بأنه محدد المعالم وانه لا يسبب أي ألم للمرأة المصابة به . ويتم اكتشافه بصورة عرضية أثناء الكشف السريري على الثدي . اما علاجه فيتم باستئصال الورم نفسه والكشف المخبري عليه للتأكد من كونه غير خبيث .

تعتبر اورام الثدي الخبيثة اكثر انواع الاورام عامة انتشاراً بين الأناث . وهي من أهم أسباب الوفاة بين النساء بعد سن الثلاثين . ففي سنة ١٩٦٩ تم اكتشاف ٦٦٠٠٠ اصابة بهذا السرطان في الولايات المتحدة وحدها ، وفي العام نفسه توفي نحو ٢٩٠٠٠ امرأة مصابة بهذا المرض . ويعتقد ان نسبة الاصابة بهذا المرض في ازدياد مطرد وان السبب في هذه الزيادة يعود جزئياً الى ازدياد الاهتمام به والتحري عنه وتحسن وسائل تشخيصه . وعلى الرغم من ازدياد نسبة الاصابة بهذا المرض فان نسبة الوفيات منه قد قلت الى حد ما وذلك بفضل تطور وسائل علاجه واكتشاف اعراضه في مراحله المبكرة .

هذا وتشير الاحصاءات الى ان ٦ في المائة من المواليد الاناث في مدينة نيويورك معرضات للاصابة بسرطان الثدي في احدى مراحل حياتهن (اي ١ من كل ١٧ انثى) . ومن الأمور التي تستقطب اهتمام الباحثين في هذه الأيام الفروق الجغرافية والعرقية بالنسبة لانتشار هذا المرض بين شعوب العالم المختلفة . فمن الثابت ان نسبة الاصابة بهذا المرض لدى النساء اليابانيات اقل منها بكثير من مثيلاتهن في الولايات المتحدة والدول الاوربية . وكذلك الامر في البلدان العربية ، فان نسبة الاصابة بهذا المرض تقل كثيراً عنها في الدول الغربية . ويعتقد العلماء بأن لنوعية الطعام اثراً كبيراً في نسبة الاصابة بهذا المرض . فكثرة تناول المواد الدهنية تساعد على انتشار المرض ، غير ان السبب الحقيقي لأورام الثدي كغيره من الاورام الخبيثة ، لا يزال مجهولاً ، الا ان المعلومات المتوفرة في الوقت الحاضر تشير الى ان هناك عدة عوامل تساعد على تكوين هذا المرض الخبيث . ومن هذه العوامل :

الوراثة

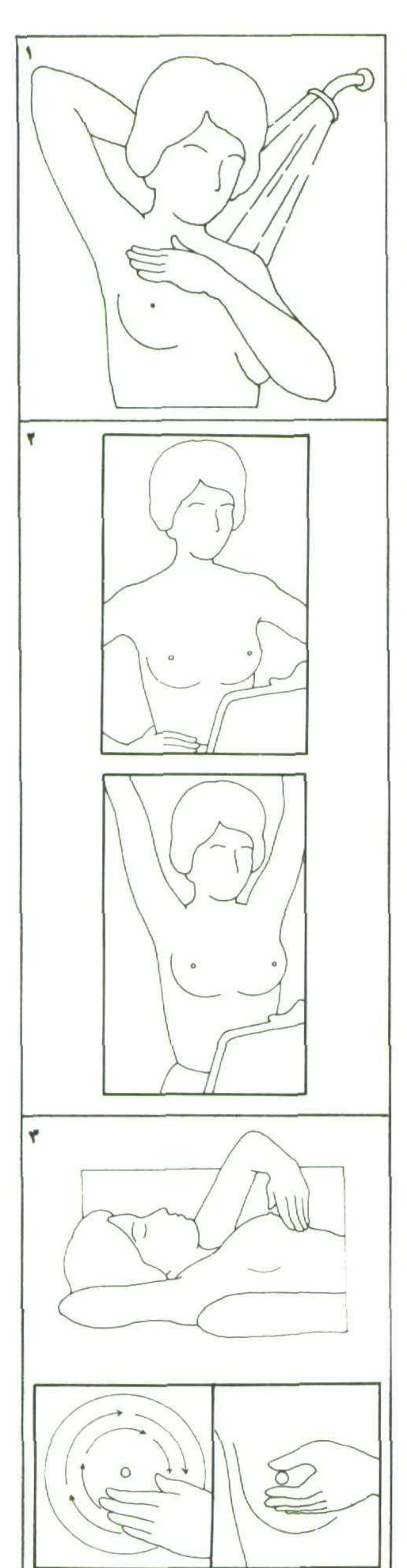
ليس هنالك أدنى شك في ان للوراثة اثراً كبيراً في نشوء هذا الورم ، فنسبة الاصابة بورم الثدي الخبيث تزداد مرات عديدة بين أقرباء المراة المصابة . اذا افترضنا ان امرأة ما اصيبت بسرطان الثدي وان لها ابنتين احداهما مصابة بالمرض نفسه ، فان احتمال اصابة البنت الثانية بورم الثدي الخبيث يكون ١٥ مرة أكثر مما لو كانت امها واختها غير مصابتين . وكذلك اذا اصيبت المرأة بسرطان الثدي فان احتمال اصابتها بالمرض نفسه في الثدي الآخر اكبر بكثير مما لو لم تكن مصابة .

ان النساء اللاتي لم ينجبن هن أكثر تعرضاً للاصابة بهذا المرض من مثيلاتهن الولودات ، كما ان النساء اللاتي لم ينجبن قبل سن الخامسة والعشرين أكثر عرضة للاصابة بورم الثدي الخبيث . فالنساء الولودات اللاتي يرضعن اولادهن لفترات طويلة أقل عرضة للاصابة من مثيلاتهن اللاتي لم يرضعن . ولعل هذا هو السبب في انخفاض نسبة الاصابة بهذا المرض في البلاد العربية اذا ما قورن بالنساء الغربيات ، فالنساء العربيات في الغالب ولودات ومرضعات .

ومن جهة أخرى يعتقد العلماء ان للمبيض وما يفرزه من هورمونات وخاصة الاستروجين الاثر الاكبر في نشوء اورام الثدي الخبيثة ، ومن الأدلة على ذلك ان النساء اللاتي استؤصل منهن المبيض قبل سن السابعة والاربعين هن اقل عرضة للاصابة بهذا المرض ، وما زال دور اقراص منع الحمل بالنسبة لأورام الثدي الخبيثة موضع نقاش حاد بين الأطباء ، غير انه لم يثبت حتى الآن وجود علاقة بين تناول هذه الاقراص وبين زيادة نسبة الاصابة بهذا المرض .

أعراض المرض

في المراحل الاولى من المرض لا تشكو المرأة المصابة عادة من أية اعراض بل يتم

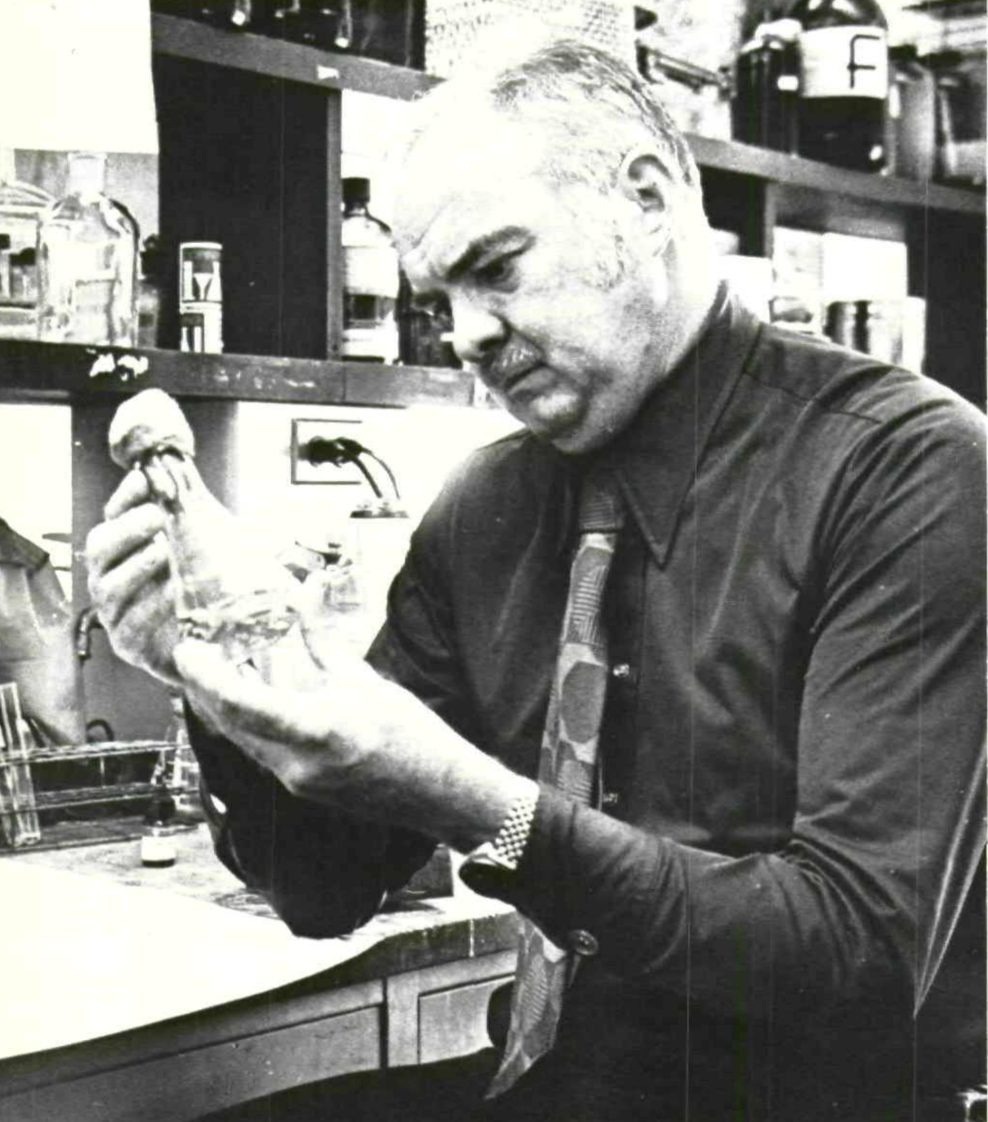


ثلاث خطوات ينصح الأطباء الاخصائيون المرأة باتباعها لاكتشاف اية دلائل على وجود أورام سرطانية في مراحلها الأولى بغية علاجه قبل استفحاله . ←

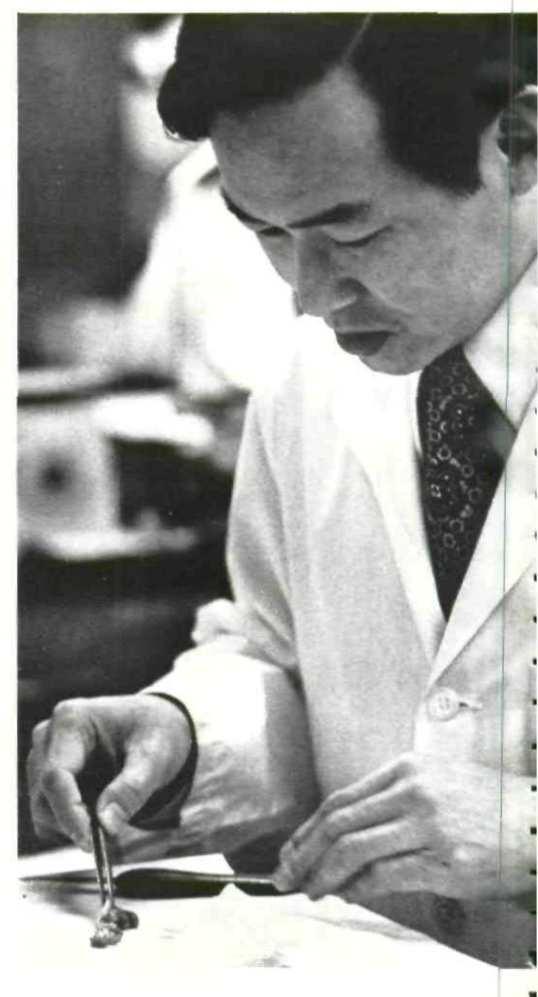


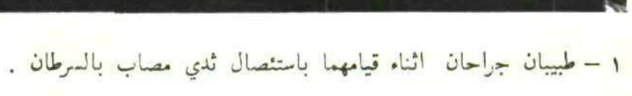
٣





٤





١ – طبيبان جراحان اثناء قيامهما باستئصال ثدي مصاب بالسرطان .

٢ – استاذ مساعد في ابحاث السرطان يفحص بعض الانسجة التي استؤصلت اثر عملية جراحية .

٣ – خبيرة في مستشفى «جونز هوبكنز» بالولايات المتحدة تشرح لإحدى الزائرات طريقة لفحص الثدي بنفسها .

٤ – استاذ جامعي يفحص نوعاً جديداً من العقاقير ينتظر ان يكون فعالا في معالجة السرطان .

احد خبراء الانسجة يضع شريحة من نسيج حي في وعاء للتجميد ثم يقوم بتقطيع هذا النسيج الى شرائح رقيقة لاجراء الدراسات اللازمة عليها .

في الغالب اكتشاف الورم بشكل عرضي كأن تحس المرأة بالورم اثناء استحمامها . ومن النساء من تجري كشفاً دورياً على ثديها فتكتشف الورم دون وجود أية اعراض ألم تذكر . والأورام الخبيثة لا تسبب الألم في غالب الأحيان . فلو أخذنا مثلاً مئة من النساء المصابات بسرطان الثدي لوجدنا ان ٧٨ منهن كان الورم هو المؤشر الوحيد على وجود السرطان لديهن ، في حين ان ألم الثدي وجد لدى ١٢ منهن فقط وان ١١ أخريات ظهرت لديهن افرازات غريبة



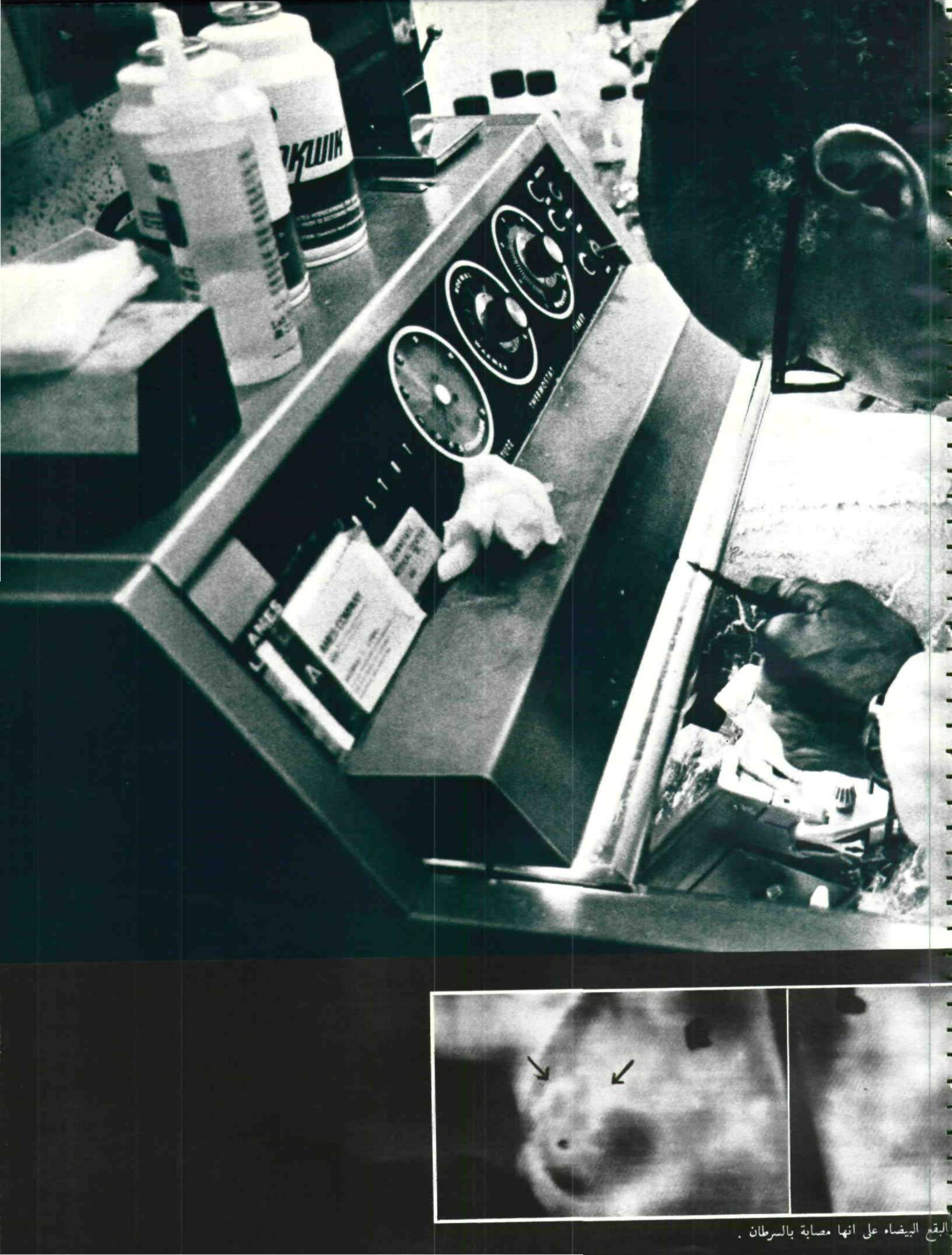
مريضة وقد أصيب ثديها الايمن بالسرطان .

من الحلمة مما اضطرهن لمراجعة الطبيب . ومن اعراض هذا الورم كذلك احمرار جلد الثدي الذي يغطي الورم وانكماش هذا الجلد وتجعده .

أما في مراحل المرض المتأخرة فتظهر مضاعفات كثيرة بسبب انتشاره الى الغدد اللمفاوية الكامنة تحت الأبط ، وتتورم اليد في جهة الثدي المريض ويتورم الثدي كذلك حتى يتقرح الورم مما يسبب الالتهابات البكتيرية. ويشتد الالم في هذه المراحل ، وحين ينتشر المرض الى بقية اعضاء الجسم تشتد اعراضه ، فاذا ما انتشر الورم الى الهيكل العظمي شكت المرأة من آلآم مبرحة في الظهر والعظام ، ونتيجة لذلك تفقد المرأة شهيتها للطعام وكثيراً من وزنها .

يصيب سرطان الثدي الربع العلوي الخارجي من الثدي بنسبة تتراوح بين ٤٧ — ٥٠ في المائة ، ويصيب الربع العلوي الداخلي بنسبة تتراوح بين ١٢ و ١٥ في المائة . اما النصف السفلي من الثدي فنسبة اصابته بالسرطان اقل

ثلاث صور بالمرسام الحراري لثديي امـ

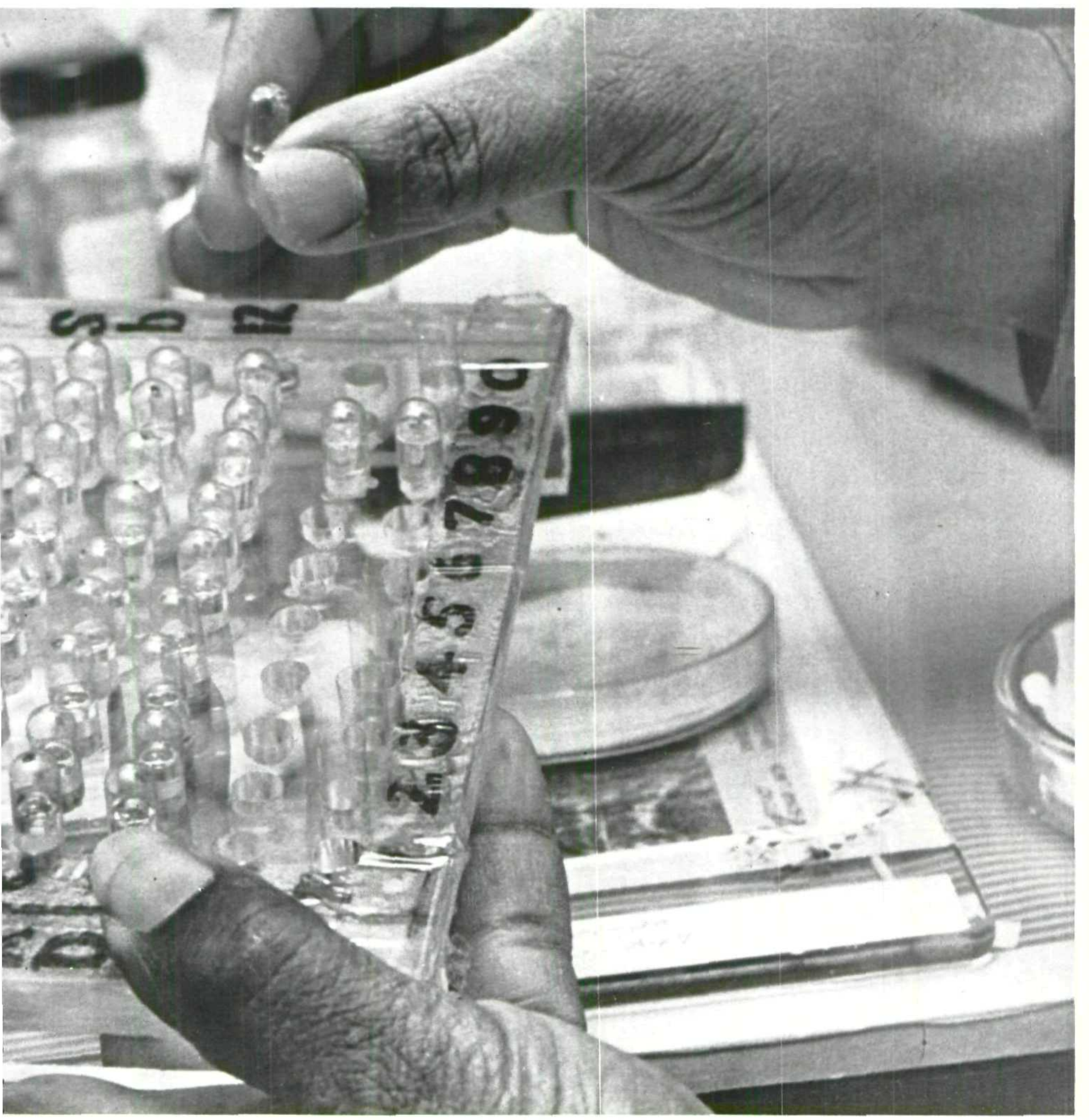


البقع البيضاء على انها مصابة بالسرطان .

كثيرا حيث يصيب الربع الخارجي بنسبة تصل الى ٦ – ١٢ في المائة والربع الداخلي بنسبة ٢ – ٥ في المائة . اما منطقة الحلمة فنسبة اصابتها تصل الى ١٥ – ٢٢ في المائة . ويصيب الورم الخبيث الثدي الأيسر بنسبة تزيد قليلاً على الثدي الأيمن. بينما تبلغ نسبة اصابة الثديين معاً من ١ – ٢ في المائة .

تشخيص المرض

يعتبر الكشف السريري الدوري أهم وسائل تشخيص هذا المرض . فطريقة عس الثدي وتحسس وجود الورم سهلة بحيث يمكن للمرأة نفسها القيام بها . لذلك يحسن بالنساء اللواتي تزيد أعمارهن على سن الثلاثين ان يقمن بأنفسهن بالكشف على وجود ورم في أحد الثديين . وافضل وقت لإجراء هذا الكشف هو في أعقاب الدورة الشهرية حيث تستلقي المراة على سريرها وتضع وسادة صغيرة ناعمة تحت كتفها ثم تضع يدها اليمنى تحت رأسها وتتحسس بأطراف اصابع يدها اليسرى الثدي الأيمن بطريقة



عدد من انابيب الاختبار وقد وضعت بداخلها انسجة حيوية بغرض اجراء بعض التجارب الرامية لمكافحة مرض السرطان .

منتظمة حيث تبدأ من نقطة ما من الثدي ثم تعود الى النقطة التي بدأت منها وهكذا . وبعد ان تنتهي من الكشف على الثدي الأيمن تنتقل الى الثدي الايسر بالطريقة نفسها . فان احست او شكت في وجود ورم في احد الثديين راجعت طبيبها لاجراء الفحوصات اللازمة والتأكد من ذلك . انها طريقة سهلة يمكن لكل امرأة القيام بها . فهي الطريقة العملية الوحيدة لاكتشاف هذا المرض الفتاك في مراحله الاولى قبل استفحاله . ويمكن بهذه الطريقة ايضاً اكتشاف الاورام التي يزيد قطرها على سنتمتر واحد . ولاكتشاف الأورام الاصغر حجماً لا بد من استعمال وسائل التشخيص الاخرى قبل « التصوير الشعاعي للثدي — Mummography » . وقد انتشر استعمال هذه الوسيلة لتشخيص امراض الثدي في العقد الماضي انتشاراً واسعاً وعمل الاخصائيون على تطويرها حتى أصبحت من الدقة بحيث لعبت دوراً كبيراً في الكشف على الاورام الثديية في مراحل المرض الاولى اي قبل الورم بالفحص السريري . ويمكن استخدام وسيلة الكشف الشعاعي للثدي للتفريق بين الاورام الخبيثة والاورام غير الخبيثة . فلكل منها صورة يستطيع الاخصائيون تمييزها . في نهاية المطاف وحتى يمكن الوصول الى التشخيص الدقيق وتحديد نوع الورم لا بد من استئصاله أو اخذ عينة منه — Piopsy لفحصها تحت المجهر .

عـلاج أورام الثـدي الخبـيثـة

ان حجر الزاوية في العلاج هو اكتشاف المرض في مراحله الاولى ، فاذا ما اريد للعلاج ان يكون فعالاً فلا بد من الاكتشاف المبكر للمرض ، ولذا يجب ان تتركز جهود الاطباء على اكتشاف الورم في وقت مبكر . ان كل ورم في الثدي يمكن اعتباره خبيثاً حتى يثبت خلاف ذلك عن طريق الكشف الشعاعي للثدي والكشف النسيجي — Pathology .

ان اكتشاف المرض في مراحله الاولى قبل ان ينتقل الى الغدد اللمفاوية وبقية اعضاء الجسم يعطي المرأة فرصة للشفاء التام منه . أما بعد انتشار المرض وفوات الأوان ، فإن الجهود تنصب على التخفيف من ويلاته فقط . وعلى ذلك تختلف طريقة العلاج باختلاف المرحلة التي يكتشف فيها المرض .

ويمكن تلخيص أهداف علاج هذا المرض بالنقاط التالية :

- العمل على منع انتشار المرض إلى الدم والغدد اللمفاوية ومن ثم إلى بقية أعضاء الجسم .
- منع عودة المرض إلى الثدي بقدر المستطاع .
- إجراء أقل قدر ممكن من الجراحة مع الأخذ بعين الاعتبار الهدفين الأولين . ويتعين على الطبيب قبل بدء العلاج تحديد مدة انتشار المرض.

وهنا يمكن تقسيم المرض الى المراحل التالية :

اولاً : مرحلة احتواء الثدي للورم أي قبل انتشاره .

ثانياً : مرحلة انتقال الورم الخبيث الى الغدد اللمفاوية تحت الإبطين .

ثالثاً : مرحلة انتشار الورم الى الجلد الذي يغطي الثدي أو الى عضلات الصدر .

رابعاً : مرحلة انتشار المرض الى بقية أعضاء الجسم والبعيدة كالعظام ، والكبد ، والرئتين و الغدة اللمفاوية .

ولكي يتسنى تحديد مراحل الورم يجري الأطباء الكثير من الفحوص السريرية والشعاعية والمخبرية ، ومن ثم يضع الاطباء برنامج العلاج بحسب مرحلة انتشار المرض . فاذا كان الورم في المرحلة الاولى فان العلاج يضمن لنسبة كبيرة من المرضى فرصة الشفاء التام . هذا ويختلف الاطباء في اختيار طريقة العلاج في هذه المرحلة ، فمنهم من يستأصل الورم ويبقي على بقية الثدي . ولكن غالبية الجراحين يؤثرون استئصال الثدي بكامله بالاضافة الى الغدد اللمفاوية الكامنة تحت الابط ، وبعضهم يتبع ذلك بالعلاج الشعاعي — Radiotherapy لمكان الثدي ليقللوا من احتمال عودة المرض . أما في مراحل المرض المتقدمة فيلجأ الاطباء بالاضافة الى استئصال الثدي الى العلاج الشعاعي والكيماوي — Chemotherapy وقد يلزم الامر استئصال المبيض او العلاج بالهورمونات ولكن نتائج هذا العلاج ليست مشجعة كما هي الحال بالنسبة للمرحلة الاولى من المرض . ولعل أهم وسائل العلاج هذه والتي لا يجوز ان يغفلها الاطباء هي العناية العامة بالمريضة وتطمينها والتخفيف من شدة الصدمة عليها . وقد تكونت في البلدان الراقية جمعيات نسوية من المصابات بسرطان الثدي هدفها زيارة المريضات في المستشفى وتشجيعهن على مواجهة المستقبل وبعث الأمل فيهن . وقد أدت هذه الجمعيات خدمات جليلة سهلت على الأطباء عملهم ويسرت لهم مهمتهم .

قبل ان ننهي حديثنا هذا لا بد ان نتعرض لسرطان الثدي لدى الرجال حيث ان ٢ في المائة من سرطانات الثدي تصيب الرجال وهي أشد فتكاً من أورام الثدي لدى النساء بشكل عام ●

د . ابراهيم ناصر — جامعة البترول والمعادن
الظهران

اخبار الكتب

* طائفة جديدة من المعاجم صدرت اخيراً ، منها « قاموس الالكترونيات » باللغتين الانكليزية والعربية من تصنيف الاستاذ محمود ابراهيم غزلان ومراجعة الدكتور احمد ابراهيم غزلان ونشر المركز العربي للنشر والتوزيع في الاسكندرية ، و « قاموس عربي انكليزي للغة الفصحى المعاصرة » وهو من تصنيف الاستاذ معن زلفو مدنية وقدم له المستشرق الدكتور بيير كاكيا ونشر في سلسلة كتب الجيب الامريكية و « المصطلحات الاعلامية » باللغات الانكليزية والافرنسية والعربية وقد اصدرته منظمة اليونسكو التابعة للجامعة العربية ، والجزء الرابع من « القاموس الاسلامي » للاستاذ احمد عطية الله ونشر مكتبة النهضة العربية .

* أصدرت منظمة اليونسكو التابعة للجامعة العربية الجزء الأول من « البيبليوغرافيا الموضوعية العربية » وهو خاص بعلوم الدين الاسلامي وعلوم القرآن .

* من كتب التراث التي صدرت اخيراً الحلقة الأخيرة من قسم العراق من كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » من تأليف العماد الاصفهاني الكاتب وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري ونشر وزارة الإعلام العراقية ، و « الامثال من الكتاب والسنة » لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي وتحقيق الاستاذ علي محمد البجاوي ونشر دار نهضة مصر ، و « الاعلام بمناقب الاسلام » لأبي الحسن بن يوسف العامري ، تحقيق الاستاذ احمد عبد الحميد غراب ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « شرح الاصول الخمسة » لعبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي وتحقيق الاستاذ عبد الكريم عثمان ونشر الهيئة المصرية .

* اصدر معهد التراث العلمي بجامعة حلب مجموعة من الكتب عن علماء الرياضيات العرب ، هي « ابن الشاطر : فلكي عربي من القرن الثامن الهجري » للدكتورين أ . س . كنيدي وعماد غانم ، و « تقي الدين بن معروف والهندسة الميكانيكية العربية » والحق بالكتاب نص كتابه « الطرق السنية في الآلات الروحانية » وهو من تصنيف الدكتور أحمد يوسف الحسن ، و « رياضيات بهاء الدين العاملي » للدكتور جلال شوقي .

ومن كتب السير والتراجم التي صدرت اخيراً « ابو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في اللغة والشعر » للاستاذ نعمة رحيم العزاوي طبع بغداد ، و « جميل ابن معمر » للدكتور جمال الدين الرمادي ونشر الهيئة المصرية في سلسلة « الاعلام » و « شاذل طاقة : دراسات ومختارات » للاستاذ ماجد صالح ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت .

ويصدر قريباً عن المجمع العلمي العربي الكتاب التذكاري عن منشئه العلامة الراحل محمد كرد علي ، وهو يضم الدراسات والمحاضرات والقصائد التي شارك بها اعلام الفكر العربي في مهرجان ذكرى مولده المئوية .

* صدر للشاعرة جميلة العلايلي ديوان جديد عنوانه « صدى ايماني » فيه طائفة منتقاة من شعرها الروحي المفعم بالصدق والشاعرية . وقد صدر الديوان عن دار مجلة الأهداف بمقدمة للاستاذ جلال سيد ندا سكرتير مجمع الأدب العربي .

وقد اعدت الشاعرة جميلة المجموعة الكاملة لشعرها لتنشر في ديوان ضخم ، كما اعد نجلها الاستاذ جلال سيد ندا طائفة كبيرة من الدراسات التي نشرت عن والدته لإصدارها في كتاب ضخم ، وفيه دراسات لأعلام الأدب والنقد كالدكتور زكي مبارك والدكتور احمد زكي ابي شادي واحمد الشايب ، والدكتور عبد العزيز عتيق ومصطفى عبداللطيف السحرتي والدكتور محمد مندور وحافظ محمود والدكتور ابراهيم ناجي وسواهم .

* من الدراسات الأدبية الجديدة « المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر » للاستاذ عبدالرحمن المعمر ونشر نادي الطائف الأدبي و « حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق » للدكتور عبد الحكيم بلبع ونشر مكتبة الشباب ، و « ثقافة اليونان والرومان واثرهما في طه حسين » للاستاذ محمد عبد الغني حسن ونشر مجمع اللغة العربية بدمشق ، و « محاضرات في الأخلاق » للدكتورة سهير محمد مختار ونشر كلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر ، و « ثلاث معارك فكرية » للدكتور مختار محمد التهامي وتوزيع الاهرام ، و « المفتاح لتعريب النحو » وهو الجزء الأول من سلسلة النحو المعرب للمحامي الاستاذ محمد الكسار ونشر المكتب العربي للاعلان في دمشق ، و « جولة في شاهنامة الفردوسي » للدكتور امين عبدالمجيد بدوي ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « من ثمار الفكر » وهو حصيلة الموسم الثقافي الاول بكلية التربية في قطر ، و « مقالات في الشعر الجاهلي » للاستاذ يوسف اليوسف ونشر دمشق . كما صدرت عن مجمع دمشق فصلة تتضمن دراسة نقدية اعدها العلامة الدكتور عدنان الخطيب عن كتاب « الارقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه » الذي الفه الاستاذ سالم محمد الحميدة .

* في التعريف بالتراث اليوناني صدر كتابان هما « الديمقراطية الاثينية » تأليف جونز وترجمة الدكتور عبد المحسن الخشاب ونشر الهيئة المصرية ، و « اسخيلوس واثينا » : دراسة في الدراما اليونانية وقد ترجمه الدكتور صالح جواد الكاظم ونشرته وزارة الاعلام العراقية .

* من الكتب الدينية التي صدرت اخيراً « القرآن والتفكير » للدكتور احمد الحوفي ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « الاسلام بين العلم والدين » للاستاذ شوقي ابي الخليل وطبع تونس ، و « التفسير والمفسرون » جزءان للدكتور محمد حسين الذهبي ونشر دار الكتب الحديثة و « مواعظ شهر رمضان » للشيخ يونس ابراهيم ونشر جامع السامرائي ببغداد الجديدة ، و « قرآن الله » للاستاذ عبد الخالق سيد ابو رابية ونشر المجلس الأعلى ، و « شخصية محمد » وقد صدر في ستة اجزاء للاستاذ محمود شلبي عن الدار التونسية ، و « التربية الاسلامية » للاستاذ محمد علم الدين ونشر المجلس الاعلى ، و « سياسة صلاح الدين الايوبي : كتاب في التاريخ الاسلامي » للاستاذ دريد عبد القادر ونشر مطبعة الارشاد ببغداد .

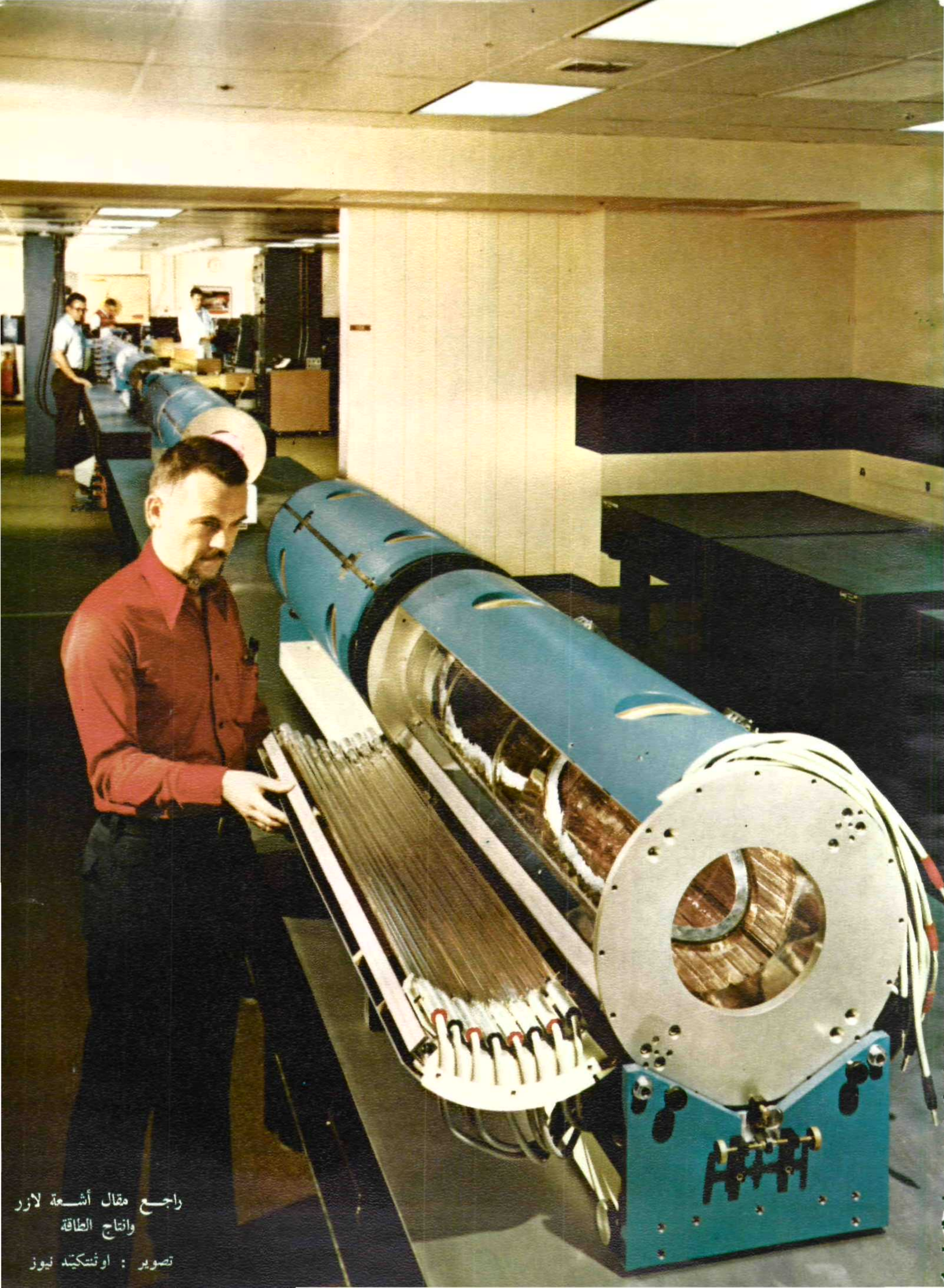
* أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب مجموعة من كتب العلوم الحديثة منها « الانسان والميكروب والزراعة » للاستاذ محمد صابر ، و « التكنولوجيا والادارة والمجتمع » لبيتر دروكر وترجمة الدكتور صليب بطرس ، و « التدريب على عمليات الورش » للاستاذ أحمد ضياء الدين فراج .

* في الأدب الروائي بفنونه المختلفة صدرت مسرحيتان هما « يوليوس قيصر » لوليم شيكسبير وترجمة الدكتور محمد عواد العسيلي ومراجعة الدكتور محمد اسماعيل الموافي ونشر وزارة الاعلام في الكويت ، و « الناسك الأسود » للكاتب المسرحي الكيني جيمس نوجوجي ونشر الهيئة المصرية من ترجمة الاستاذ سليم الأسيوطي ، كما صدرت روايتان هما « جريمة لم ترتكب » للسيدة هدى جاد ونشر دار الهلال ، و « الهؤلاء » للاستاذ مجيد طوبيا ونشر وزارة الاعلام العراقية .

* كتاب عنوانه « نحو نظام عالمي جديد » صدر عن الهيئة المصرية للدكتور اسماعيل صبري عبدالله يمثل رؤية جديدة للمستقبل الاقتصادي العالمي .

* من الدواوين الجديدة التي صدرت اخيراً « الرؤية من فوق الجراح » للشاعر وفاء وجدي ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، و « فصول من رحلة طائر الجنوب » للاستاذ عيسى حسن الياسري ونشر وزارة الأعلام العراقية ، و « عودة وضاح اليمن » للشاعر اليمني الاستاذ عبد العزيز المقالح ونشر دار العودة . كما يصدر قريباً الديوان الكامل للشاعر الراحل عبداللطيف النشار وقد قام بجمعه وتحقيقه الاستاذ احمد مصطفى حافظ .

* يصدر قريباً في لايدن بهولندا كتاب من اربعة اجزاء باللغة الانجليزية عن الشعر العربي المعاصر واعلامه من تأليف الباحثة سلمى الخضراء الجيوسي ، كما تصدر لها دراسة كبيرة عن الشاعر احمد زكي ابي شادي واخرى عن الأدباء العرب في المهجر الجنوبي (امريكا اللاتينية) ●



راجـع مقال أشـعة لازر
وانتاج الطاقة

تصوير : اونتنكيد نيوز





